فائز سلامه

أعلام العرب في السياسة والأدب

مصدّر بمقدمة لشاعر الشام :

شفيق جبري

جمعه وعُني بطبعه ونشره :

روحي المولوي

١٩٣٥

مطبعة ابن زيدون بدمشق

فائز سلامه

أعلام العرب في السياسة والأدب

مصدَّر بمقدمة لشاعر الشام :

شفيق جبري

جمعه وعُني بطبعه ونشره :

روحي المولوي

١٩٣٥

مطبعة ابن زيدون بدمشق

فهرس

مرتب على الحروف الابجدية

ملحوظة

يرى القارىء رسوماً لبعض الرجالات الذين يضمهم هذا الكتاب . ولا يرى مثل ذلك للبعض الآخر . ولكي لا يذهب في ذلك مذاهب تقبل التأويل جئنا نقول : اننا لم نكن عازمين في بادىء العمل على وضع الرسوم بتاتا ، ولكن وجود بعضها في المطبعة مصادفةً دفعنا لاثباتها ، علماً منا بان الكتب المصورة اوقع في النفس واقرب من الذوق .

المقدمة

لشاعر الشام الاستاذ شفيق بك جبري

عضو المجمع العلمي

هذا كتابٌ صوَّر فيه صاحبه طبقة من رجال السياسة والأدب في الشام ، أما هذه الطبقة فقد تكون صالحة وقد تكون غير صالحة ، فهذا امر غير ذي بال ، فليس كل شيءٍ صالحا في هذه الطبيعة . أفلا تجد ان الورد قد يكون على جوانبه كثير من الشوك ، وما كان هذا الشوك ليذهب برونق الورد ، لا بل قد يزيد الشوك في رونق الورد . ولست أدري اسم هذا الاستاذ الذي انتخبوه مرة عضواً في الاكادمية الفرنسية فلسع اناتول فرانس الاكادمية لسعًا اليماً وقال : « ليس من الضروري أن يكون رجال الاكادمية كلهم قد أُفرغوا في قالب واحد ، ولولا هذا التباين في درجاتهم لما ظهر فضل الفضلاء منهم . » وانا اقول : ليس من الضروري ان يكون اعلام السياسة والادب في كتاب الاستاذ فائز سلامة كلهم من نمط واحد ، فمن الضروري ان تختلف اخلاقهم ومن الضروري ان يكون بين هؤلاء الرجال الذين اخلصوا الحب للوطن رجال يبيعون

هذا الوطن بيسير من حطام الدنيا او بقليل من كاذب الجاه ·
ولولا هذا التباين بينهم لما كان للكتاب رونق في اعتقادي·
فلا بدّ في ضحك الربيع من بكاء الشتاء حتى تبرز محاسن الربيع ، ولا بدّ الى جنب الرجال غير الافاضل من رجال افاضل حتى يشعر القارىء بتفاوت الاخلاق ·

اني لا أرى للاستاذ فائز سلامه عيباً في جمعه بين طبقات متفاوتة ، فانه حكيم في هذا الجمع ،وانه مستمد حكمته من الطبيعة نفسها وهذا ما يجعل لكتابه رونقاً · واذا كان يخطىء في التصوير او يصيب فاني لا اهتم بهذا الأمر فانا آخذ الصواب وانعم به ·
اني انشق الورد واترك الشوك ·

بلودان: تموز ١٩٣٥ شفيق جبري

ابراهيم بك هنانو

خواصه وصفاته

وجهٌ دقيق مستطيل علَى جسم متناه في الرقة والنحول . حادُّ المزاج سريع الغضب ، بطيءُ الرضى ، يحمل الحقد على خصومه السياسيين كما لو كانوا له اعداءً شخصيين . ولعل ذلك ناشيءٌ عن امتزاج عقيدته السياسية بدمه امتزاجا يجعلها جزءًا من ذاته ، فيعتبر مخالفه فيها مخالفًا اياه بالنفس والعين .

وربما بلغ من شدته على المخطيء أنه لا يتقبل توبته ولا يقيل عثرته حتى ولو جاءه تائبًا مستغفرًا . فهو ما يزال ينظر إليه اليوم كمثل نظرته إليه بالأمس ؛ فليس هو من الذين يؤمنون بامكان تحوُّل المرء عن مبدأ يدين به عندما يتبين له نوع الخطأ والضلال ، مع أن رسول المسيحية الأعظم — القديس بولس — كان يهودياً صميما شديد الوطأة على اتباع عيسى ، فلما آمن جاء إيمانه صحيحاً راسخاً . وبطرس زعيم الحواريين انكر مسيحه ثلاثا ثم تبينت له غوايته ، فبكى عليه وقبلت توبته وندامته ، ولُقب بصخرة الكنيسة وعليه بنيت بيعة ابن البتول مريم . وكان أبو سفيان من الد اعداء

النبي القرشي ثم أحسن اسلامه وجاهد في خدمة الدين الحنيف أيما جهاد .

وقد يغلب على اعتقادنا أن للظروف والأحداث أثراً عميقاً في تكوين نفسيته وربما كان لرقة مزاجه قسط وفير من هذا الأثر ، على أنه من العدل والحكمة أن يراعى أيضاً في تكوين هذه العوامل البيئة التي نشأ فيها المحكي عنه — لانه ربي تربية ارستقراطية صرفاً ، والمطلع على أحوال سورية الشمالية يمكنه الحكم على ما للبيوتات القديمة من أثر بليغ في تلك الاصقاع .

حياته السياسية

زاول العمل السياسي عقيب الحرب الكبرى ، فقد عين قائداً عاماً لقوات الحكومة العربية في مدينة انطاكية عام ١٩١٨ تحت رئاسة فخامة صبحي بك بركات الخالدي ، ثم اشتغل في السياسة الوطنية فلم يكتب له التوفيق فيها تماماً لارتكاز سياسته على اساس السلبية المتطرفة .

آراؤه السياسية

شعار الغلاة من الوطنيين وحامل لواء المعارضة ، ومواقفه في ذلك أشهر من أن تذكر ، حتى انه يرى معالجة القضية السورية في الوقت الحاضر كما كان يراها من قبل خمسة عشر عاماً دون ما التفات

إلى تقلب الظروف والأحوال - وطالما تبدلت الأحكام بتبدل الأزمان — ·

ولا نغالي اذا قلنا انه يعتبر انتهاج اساليبها واستطرادها في الدوران كالنواميس الطبيعية والقواعد العامة في علم الرياضة والحساب !!

مع أن البلاد التي لم ترض سنة ١٩١٩ بمعاهدة « فيصل — كلمنصو » بما فيها من ضمان للسيادة ومعاني الاستقلال اصبحت الآن قانعة بالحصول على معاهدة تماثل المعاهدة العراقية !! ·

وهو كثير الشك في المشتغلين معه بحقل القضية المحلية ، وسيء الظن إلى حد بعيد في حسن نية المنتدبين ، ولذلك رأيناه يمانع في سياسة — التفاهم النزيه — التي يعتقد أن لا فائدة ترجى من ورائها ما دامت غاية الفرنسيين واضحة جلية · وفي الجملة فانا ارى أنه يخالف في نظرياته هذه زميله الاستاذ معالي جميل بك مردم بك الذي ترتكز خطته على المرونة واللباقة التي يحسبها من مقتضيات الزمان وتطلبات المكان ، على مثال دهاقين الساسة واساطينها في الشرق والغرب ، ويرى إمكان الوصول بالطريقة الايجابية إلى نتائج قد يستحيل بلوغها بالطريقة السلبية ؛ ولا عبرة عنده باختلاف الأساليب وتنوع المطالب متى كانت الغاية واحدة لديه ، والبلوغ بالوطن إلى استقلاله هو الهدف الاسمي الذي يرمي إليه كل عامل

في هذا الباب . لان منشأ الفكرة الحقوقية إنما يكون بين الافراد والجماعات كما هو بين الدول والحكومات ينمو أو يضمحل بتطاول الايام والسنين عليه ؛ وكثيراً ما ينال المرء في يومه ما يمتنع عليه في غده ويحرم ثمرته ، والعكس بالعكس .

رأيه في الانتداب

يرى أن الفرنسيين يشيدون بنيان الاستعمار على اركان ثلاثة: منها المحسوس والمعنوي . أولها لبنان وساحل البحر . وثانيها حكومة جبل الدروز . وهو يخشى إلى جانب ذلك طغيان الشعوب اللاجئة إلى الداخلية من ارمن وشركس واكراد وسائر الأقوام لئلا تذوب فيها القومية السورية ، ويرى أن اللغة العربية سوف يقضى عليها ما دامت برامج التعليم الرسمي تجعل اللغة الفرنسية مقياساً للنجاح في الفحوص كافة من ابتدائية وثانوية . وهناك عنصران آخران من عناصر الاستعمار هما الإفقار المالي والتجهيل بآداب العرب وتاريخهم المجيد الحافل بانتصارات الفتح والاستيلاء

هذه هي في نظره بواعث الاستعمار ومعاول التهديم التي يلجأ اليها الجانب الفرنسي في تقويض دعائم وحدة البلاد وتضامنها — فلا يركن إلى الانتداب ولا يطمئن إليه بحال من الأحوال . بل انه متشائم إلى الحد الأقصى .

رأيه في المعاهدة والمجلس

أما رأيه في المجلس النيابي: فهو أنه لا يحق له عقد المعاهدات وممارسة الشؤون القانونية والاضطلاع باعبائها ما دامت وقوعات انتخاب اعضائه زائفة في الاكثرية منها، مطعونا في اوضاعها. وهو من القائلين بتعطيل الحياة النيابية لهذا السبب

أما المعاهدة فلا يرضاها باي وجهٍ كان حتى ولو جاء التصديق عليها من مجلس حرّ تألف بالصورة القانونية. ويدلل على ذلك بان لا فائدة من معاهدة تقوم عَلَى اساس ضعف الواحد وقوة الآخر فان شاء هذا نقضها أو غيرها بحسب مبتغيات مصلحته وميوله.

أقوال الناس فيه

يدعونه زعيم الكتلة، وزغلول الوطنية ورسولها، وللحلبيين اغانٍ شعبية يهزجون فيها باسمه.

خلاصته

قائد فكرة عامة وصاحب عقيدة صحيحة راسخة. متمسك برأيه لا يحيد عنه حتى ولو تبين له الزيغ فيه عن جادة الصواب. وفي اعتقادنا أن فقدان الاحزاب السياسية في الشهباء والتفاف الاهلين حوله وتقبلهم كل مايصدر عنه ويتفوه به بالاستحسان جعله منفرداً في المقام الاول منهم. ومعشر الحلبيين أهل تجارة وصناعة رابحة

اعتادوا من حياة دنياهم الأخذ بوسائل القصف واللهو ولذاذات العيش ودواعي البهجة والانشراح ، فلما تعطلت هذه الشؤون واستحكمت الأزمة في الاعناق وحزت في النفوس حزاً ، رأوا أن يسلكوا من دونها سبيل السياسة فكانوا على ثلاثة اصناف : منها فريق مطبوع عليها وهم طلاب حق ولهم بيان معروف ، وفريق طلاب سلوى وغواة فخر وشهرة ، والفريق الآخر هم « جماعة المقلدين » وهؤلاء كلما ظهرت في الفيحاء ظاهرة اغضبوا الناس من اجلها في الشهباء وكانوا اسبق منا نحن الشاميين في العويل والنواح . وكثيراً ما بزّ المقلِّد المقلَّد . واستظهر التلميذ على معلمه !! . . .

احسان بك الشريف

قوامه وصفاته

رجلٌ ولد كما تشتهي الأمهات أن يكون البنون ، ملءُ العين ، ملءُ برديه روحاً وجسداً ، منتظم الأعضاء ، فيخيل إليك إذا أفرغت عليه خاتماً مستديراً أنه سينصب منحدراً من قمة رأسه حتى ينسل منه عند أخمص القدمين ، لا يلتوي في ثنية ولا ينحرف إلى جانب ما . ريّان الأدمة ، ابن الظل والماء والدلال ، أبيض اللون ، سلت الوجه ، سنين الانف . تكوّن شكله من اسمه الأول ، وخلقت نفسه من اسمه الثاني .

ومن خصائصه أنه يحب السكوت في المجالس . ولكن سكونه أبلغ من الكلام وأفصح منطقاً من بيان اللسان . وربما حسبته أحد نبلاء الإنكليز متى مشى أمامك أو تحدث إليك

الحسد نوعان

وقد وقع في نفسي منه ذات مرة حسد لذيذ لا أدري أمحموداً كان ذلك بي أم مذموماً . قالت العلماء : الحسد حسدان محمود ومذموم ، فالمحمود هو أن ترى رجلاً عالماً فاضلاً فتشتهي أن تكون مثله ، والمذموم هو أن ترى عالماً فتدعو عليه بالموت .

أمـا أنا فتمنيت أن أكون الأستاذ الشريف . بنظر فتاة حسناء ، نشأ بيني وبينها خصام عنيف في مكان حب شديد ، فالتمست محامياً لها يخاصمني بالوكالة عنها فلم تظفر بواحد يطمئن اليه وجدانها ويرتاح ضميرها سواه فجاءت إلي تهددني به واصفة لي إياه معجبة به أيما إعجاب

وامل المحب يصدق قول حبيبه ولو كان خطأ فينفذ الى مسمعه ويستقر في لبه .

وليس بمستنكر على الله أن يخلق من الأستاذ معروف الأرناؤط مهندساً بارعاً اذا تعهدت تعليمه الرياضيات غادة فتانة ساحرة ؟؟..

سر النجاح

لكن الأستاذ الشريف أعرض عن وكالته للفتاة حين تبين له بطلان دعواها وردها إليها . فراحت تستعرض قوتها من جمال رائع وبضاضة بشرة وغضاضة فيها . وكانت قوتي جمال العلم ومضاء الحق والقانون . فبرزت هاتان القوتان تتصارعان في قاعات المحاكم وأوشكت القوة الأولى أن تجندل القوة الثانية وتقضي عليها في دور القضاء وينتصر البطل على الحق في بيت العدل والإنصاف بتأثير المدعي العام ونفوذه الذي انبرى لنجدتها علي ، فانبريت أنا بدوري أيضاً وكنت غارقاً في غمرة الأسى والعذاب

الأليم أستنجد شيطان شعري فقرضت له قصيدة في الهجاء سللت أبياتها من أعماق قلبي شطراً شطراً حتى حصحص الحق وزهق الباطل .

فلو أنصف القاضي لاستراح الناس ، ولو حذا المحامون حذو الأستاذ الشريف وسلكوا سلوكه لكانوا بنوا فينا أمة جديدة حية – فهذا مكتب المحاماة أسسه ثلاثة : هم الامير بهجة الشهابي وفقيد الوطن المرحوم فوزي بك الغزي واحسان بك الشريف ، ثم اخترمت المنية ثاني الثلاثة وظل المكتب سائراً في تقدم مطرد ، خلافاً لأي مؤسسة قامت في الشرق وخصوصاً في سورية على سواعد اثنين أو أكثر إلا أدركها الخراب والفناء في فترة وجيزة إثر خصام أنشب أظفاره بين الشركاء .

ولكن ما بني على الاخلاق الحميدة لا تزعزعه الرياح .

رأيه في السياسة

يعتقد الأستاذ الشريف أن البلاد السورية لاقت تيارين عظيمين عقيب الحرب العالمية الكبرى . أحدهما المعاهدات السرية التي عقدت عام ٩١٥ و ٩١٦ بين دول الحلفاء القاضية بتقسيم غنائم الحرب وتوزيعها عليهم .

وهذه معروفة بمعاهدة – سيكس بيكو – والتيار الثاني

هو الذي شرعه المستر – ولسن – اثر دخول اميركا في الحرب الى جانب الحلفاء . فمن مبادئه مقاومة الاستعمار وتهيئة الأمم لإدارة نفسها بنفسها والقضاء على السياسة الاستعمارية القديمة .

مصير سورية

بات هذان التياران يتنازعان مصير البلاد . فالمبدأ الاول تلاشى امام الخطط والمبادئ التي وضعها الرئيس ولسن . وحين تقرير المادة (٢٢) من صك جمعية الأمم وضع الرئيس ولسن مع الجنرال « سموث » ضمانات لتأمين حقوق البلاد المنتدب عنها ، وبوجه خاص الاراضي المنسلخة عن الحكومة العثمانية ، كأخذ رأيها في اختيار الدولة المنتدبة وإجبار هذه عَلَى تقديم تقرير سنوي الى لجنة الإنتدابات الغاية منه تنفيذ الانتداب لمصلحة الأمة المنتدب عنها لا لمصلحة الدولة المنتدبة .

وبذلك قضت جمعية الأمم على الوصاية الرومانية القائلة بتنفيذ الوصاية لمصلحة الوصي لا لمصلحة القاصر .

رأيه في الانتداب

ويرى الاستاذ الشريف أنه حال انسحاب أمريكا من العصبة ظهرت المطامع التي اختفت موقتاً أمام الرئيس ولسن فقد كان الباعث عليها التصنع والمجاملة .

كتاب السلام

ودليل الأستاذ الشريف على ما تقدم أن أحد محرري صك العصبة ومعاهدة ـ فرسايل ـ أدخل سورية بين غنائم الحرب وخص بها فرنسه بكتابه ـ السلام ـ فيتضح من هذا الإنتداب مع بقائه شكلاً أصبح في الحقيقة آلة لتنفيذ المطامع الاستعمارية والمعاهدة السرية التي عقدت بكتاب الحرب العامة ·

سر الانقلاب

ثم انجلى الموقف فتبين أن فرنسه تباعدت تدريجياً بادارة هذه البلاد عن المبادئ التي بني الانتداب عليها ، وبدأت البلاد تتبرم من هذه السياسة لأنها لا تنطبق على شيء من روح الانتداب ، فموقف جمعية الأمم من هذه الأحوال موقف الحائر اضعفها المراد منه ستر عجزها عن تطبيق الضمانات التي نصت عنها المادة (٢٢) من صك جمعية الأمم ·

طريق الخلاص

والأستاذ الشريف يرى أن نسبة الخلاص من أوضاعنا السياسية إنما يتوقف على نسبة قوة العصبة وامكانها من إلزام الحكومة المنتدبة بما تمرتأيه لأجل رقي البلاد المنتدب عنها · وما دامت العصبة باقية في حالتها الحاضرة تحت تأثير ونفوذ الدول الكبيرة

فمن العبث الوصول إلى حل يؤمن مصالح البلاد ٠ على ان المادة (٢٢) من صك الانتداب الموضوع لسورية هي نفسها موضوعة للعراق ، فالسلطة الانكليزية نهجت في العراق نهجاً أكثر انطباقاً على الانتداب ، وما ذلك إلا لمصلحتها ، ولكي تخفف المتاعب عنها ، وأما هنا فما زلنا تجاه عجز جمعية الدول المنوه به نعالج القضية للتمشي على سياسة تنيل البلاد حقوقها لدرجة لا تقل عما ناله العراق ...

حياته العملية

في عام ١٩١٣ كان في « المدرسة السلطانية » بدمشق ٠ وبسبب الحركة العربية طرد منها ٠ فسافر إلى « ليون » ودخل معهد الحقوق فيها ٠ ثم عاد أول الحرب الكبرى وانخرط في السلك العسكري وقضى فيه الخدمة القانونية ٠ وفي عام ١٩١٩ عاد إلى أوربه وظل فيها حتى عام ١٩٢٣ حيث قدم أطروحته وكان موضوعها « وضعية سورية الدولية » تناول بها صك الانتداب بالبحث والتحليل : وكان رئيس الجمعية العربية في باريس ٠ وتأسس حزب الشعب وانتخب كاتم أسرار له في عاصمة الفرنسيين ٠ وفي سنة ١٩٢٥ سيق إلى ارواد مع رفاقه وبقي فيها سنة كاملة ثم اشترك في الجمعية التأسيسية وكان نائباً فيها كما انه انتخب نائباً في المجلس النيابي ٠

بديع بك المؤيد

رأيه في المعاهدة

ليس في الامكان أبدع مما كان . بيد أنه لو كان عنصراً في الحكومة أو كان أحد الفريقين المتعاقدين لمال الى اقناع المعارضين قائلاً : لا حيلة في رد قضاء الله .

مذهبه ولونه

هو ابن عم لحقي بك العظم في النسب ، وابن عم له في المذهب السياسي !

رأيه في الوحدة

يرغب بالوحدة السياسية على اساس اللامركزية .

شعاره السياسي

سياسي مخضرم . أدرك العهد العثماني ، والفيصلي ، والانتداب وقديماً أساء لفرنسا ، ثم أحسن توبته ، فقبلت ندامته .

حياته السياسية

بدأ شبيبته في مصلحة الديون العمومية في الاستانة ، ثم انتسب

إلى الاتحاديين من رجالات الترك ، فمين نائباً في مجلس «المبعوثان» وطعن في فرنسا يومئذ بكتاب أرسله إلى صديق له في «المابين» نشرته جريده المقتبس بالزنكوغراف ، بموجب طلب من ابن أخيه واثق بك المؤيد .

في عهد الانتداب

عين وزيراً في حكومة المغفور له علاء الدين بك الدروبي ، ورئيساً للمجلس التمثيلي في حكومة الاتحادالسوري ، ووزيراً في الحكومة الدامادية ، ووزيراً في الحكومة التاجية الأولى

وقد أوفدته الحكومة المركزية إلى باريس مع الاستاذ محمد بك كرد علي ، فأدلى هناك بتصريح هاج به خواطر العرب عليه حيث قال : إن السوريين يتمتعون برغد العيش وصفاء الحال ، وعزز كلامه بموافقة الاستاذ كرد علي الذي كذب الخبر فور وصوله إلى مصر عائداً من عاصمة السين ، فكان سبباً لاقالته من منصب الوزارة بايعاز من الكولونل كاترو !

رأيه في القضية

يرى أفضل فرصة مرت في البلاد هي (اتفاق) الداماد — ده جوفنل ، غير ان الجانب السوري طلب « كل الشيء » حتى خرم كل شيء .

مواهبه

رجل تفكير وتدبير ، وقلما يرضي الناس بلسانه وقلمه ، ولكنه ماهر حاذق بتصريف الأمور ، وعالم خبير مجرب بشؤون الدولة والخدمات العامة .

صفاته

شيخ وقور نجم من بيت حسب ومجد ، غني وافر الثراء . أبيض اللون مشرب حمرة . يمتاز بقليل من الطول . بعيدٌ ما بين الكتفين . إذا مشى حسبته هضبة تضطرب في زلزال . وإذا جلس خلته قطعة فصلت عن أحد الاجبال . مستوٍ معارف الوجه ، حديد البصر ، ضيق العينين ، وحدقتاه تضطربان في حركة أفقية . ولست أدري أهي حركة الحائر المتردد ، أم ضعيف الأمل بالمستقبل وسوء المصير . وادع ساكن . في طبعه سهولة وفي نفسه بساطة . تتجلجل الدنيا من حوله وهو ثابت ثبات الصخر . ومهما انصدع البلد أحزاباً وشيعاً ، فإنه أبعد السوريين نفساً وأعمقهم ضميراً . وطالما تمرن عَلَى إخفاء نياته ، فاذا تحدث اليه جليسه بأجلّ شؤون الوطن وأحداثه فلا ينقبض ولا يختلج ، إلا أنه يستاقي على مقعده ويحلل أقوال محدثه .

الأمير بهجة الشهابي

أنا لست أدري بأي وجه ألقى الأمير غداً ، أم بأي لسان أعتذر إليه، فسوف يغضب عليّ ويعتب لأنني أكتب فيه حقاً وهو يحب الحق في كل مقام ومقال إلا ما جاء فيه ثناءً وحمداً . ولكن شفيعي لديه أنني لا أكتب إلا ما أعتقده صدقاً ، ولعل ما أعتقده هو الصواب بإذن الله فلذلك أقول :

لو جاءني هاتف يسألني : أي الناس ترغب أن تكون يا فائز إذا ولدت من جديد لقلت له بدون تردد : أتمنى أن أكون الأمير بهجة الشهابي . وليس في ما تمنيت غبن عليّ ولا إجحاف ، فلا أبتغي أن أكون « المستر فورد» ولا « روكفلر » ولا غازياً فاتحاً، ذا شوكة وسلطان تنحني عند ذكره الرؤوس احتراماً ،وتعنو لسيفه رقاب الأبطال رهبة وإجلالاً ، فيستولي على الأوطان السكان !...

ورب معترض يقول : لماذا لا تشتهي أن تكون فرنسياً ، فلعلك تصبح سفيراً لحكومتك في البلاد المشمولة بالانتداب ، أو إنكليزياً فتمشي عميداً لصاحب الجلالة الملك جورج في فلسطين فيجري حكمك على ابناء صهيون من ذكر وأنثى!.. وما دام الخيار



لك فيما تشاء ، فاطلب على الأقل أن تكون جميل الشكل حسن الصورة فتحبك النساء الحسان !! .
فليس جوابي له سوى أنني غنيت بالأدب عن الذهب ، وعن جمال الوجه بجمال النفس والحسب، فاظرف الناس وأكيسهم من يجب أن يكون كما تشتهيه الناس لا كما يجب أن يكون الناس ليعجبهم هو . فحظ الحبيب من لذاذات دنياه أعظم من حظ المحب وأكثر ، ونصيب المعشوق من حياته أجزل من نصيب العاشق وأوفر ! ..

وكأني بالأمير إذا خيروه مثل اختياري لا يرضى بنفسه بديلاً ، إن ولد مرةً ثانية وثالثة بل يظل هو هو بلا زيادة شيءٍ عليه . وإنما يطلب نقصان لقب الأمير منه بعد أن شاعت الألقاب الفخمة في عصرنا هذا حتى أفسدت الأذواق السليمة وراحت من أجلها تباع الخيل الجياد والحمير السود في سوق واحدة ، والغزلان والقرود بسعر واحد أيضاً ! ..

صفاته وخواصه

الأمير بهجة رجل ضخم الجسم ، رقيق في طبعه وحديثه مستدير الرأس بشكل كروي ، عريض الوجه ، واسع القسمات ،

حنطي اللون ، تخطى العقد الثالث فأشرف على مطلع الأول بعده . ومن أبرز خواصه أنه يحب نكران ذاته ؛ وأكره شيء عليه لقب الأمير الذي ورثه عن اجداده كابراً عن كابر ولكن شمائله الغرّ أبت إلا أن تشهد علَى طيب عنصره وتنمّ عن اعراقه في المجد والحسب القديم . وزيارة وجيزة في مكتبه تكفيك دلالة على مزاياه الحميدة ، فكم رجل تبصره داخلا في الباب يسأل صدقة الأمير وإحسانه . وآخر يقدم إليه وصلاً لجريدة لما تصدر بعد . وسواه يبرز اشتراكاً وبفتح كفه لمشروع الفرنك « تيم » نخري بك . ثم خلافه يطلب إعانة لجمعية البر والإغاثة ، أو لمستشفى السل ، ولا أدري ماذا وماذا غير هذا ؛ لكن الذي أعلمه هو أن الأمير يمد يده في كل مرة إلى جيبه ويخرجها فيعطي ذات اليمين وذات اليسار . والأمير متى وهب أعظم مسرةً من الموهوب له بما أخذ ونال . فهو بمفرده جمعية خيرية ومشروع برّ عام للإنسانية جمعاء .

اقوال الناس فيه

والأمير المشار إليه علم من أعلام العرب في السياسة والادب في البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسي ، وعامل فعال في اليقظة القومية والنهضة الوطنية . وهو إلى ذلك محام فذ . وأحسب أنه أصلح ما يكون في جانب الدفاع لا في جانب الإدعاء ، ولعله في الأمور

الحقوقية أبرع منه في المسائل الجزائية وأبلغ ، لأنه يرى الرحمة فوق العدل ·

رأيه السياسي

يرى الانتداب في تعريف صك الانتداب وسيلةً للارشاد وخطة الاصلاح السياسي والمدرب عليه · إلا أنه أصبح غاية للقبض على الادارة ، فالنفوذ الفرنسي مفروض على جميع الدوائر والدواوين ومهيمن على المؤسسات الوطنية كافة · وليس الحكم الوطني سوى ستار يختفي من ورائه رجال الانتداب ·

رأيه في الموقف

والأمير يرى أن اقتصاديات البلاد لا تساعد على الوضع الحاضر · فإن تقسيم سورية إلى دول متعددة إنما يراد به تهديم البنيان القومي ، فضلاً عن التجزئة الجغرافية وتوزيع أموال المصالح المشتركة على النسبة الصحيحة بين تلك الدويلات الجديدة — على أن فرنسا يمكنها أن تستفيد مادة ومعنى لو أنها نهجت خلاف النهج الحاضر ، فوحَّدت أعمالها الإدارية في البلاد وحققت مطالب الأمة حتى تخفف عن خزينتها مبالغ طائلة يستلزمها وجود الجيش في الشرق حفظاً للأمن وحرصاً على مصالحها فيه ·

نشأته

أتمّ دروسه الإعدادية في دمشق ثم تخرج من معهد الحقوق في الآستانة عام ١٩١٤ فالتحق بالجيش العثماني برتبة ضابط احتياط ووقع أسيراً عام ١٩١٧ فالتحق بالثورة العربية. وإبان احتلال الحلفاء عين حاكماً عسكرياً لمنطقة حوران ثم لمنطقة السلط ثم مشاوراً حقوقياً للدرك السوري فمديراً عاماً لشرطة العاصمة وظل حتى دخول الجيش الفرنسي اليها، ثم التحق بالملك فيصل إلى فلسطين فحكم عليه بالإعدام. فزاول المحاماة فيها إلى عام ١٩٢٣ ثم عاد إلى دمشق بعد إعلان العفو عنه، وانتخب نقيباً للمحامين.

الأمراء الشهابيون

للأمراء الشهابيين تاريخ لامع مجيد يتحتم علينا الإشارة إليه في هذا الصدد، فلزام على كل عربي أن يلمّ به، لأنه حلقة ذهبية في تاريخ العرب وعلى الخصوص في تاريخ الإسلام ولا سيما في تاريخ الديار الشامية قديماً وحديثاً.

لقد أجمع المؤرخون على أن جدّ الأمراء الشهابيين في سورية وحوران هو الأمير مالك الملقب «بشهاب» من سلالة مرة بن كعب بن فهر المسمى «قريشاً» وقد جاء جدهم الأعلى الامير هشام إلى سورية في حملة بطل العرب خالد بن الوليد.

فدخلوا دمشق من الجانب الشرقي واستشهد جدهم الأمير هشام المذكور على أسوار باب توما .

وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ولي الأمير مالك الملقب «بشهاب» أعمال حوران والزرقاء والبلقاء وبقيت الولاية بيد الشهابيين نحو أربعمائة سنة ، وفي خلالها كانت لهم اليد الطولى في حروب اليرموك ووقعة «حطين» الشهيرة التي خاض غمارها إلى جانب السلطان صلاح الدين الايوبي . ثم انتقلوا بعشيرتهم إلى وادي التيم وذلك قبل ٩٥٠ سنة واستولوا على قلاع حاصبيا وراشيا وصيدا ومرجعيون وبلاد الشقيف في الحروب الصليبية ، وظلوا حاكمين تلك الاصقاع حتى حادثة ٨٦٠

الشهابيون في لبنان

في السنة الستماية بعد الألف تزوج الأمير محمد الشهابي من حاصبيا بابنة الأمير فخر الدين المعني الكبير حاكم لبنان وطرابلس وعكا وتوابعها الذي توفي بدون ولد ذكر . فانتقلت من بعده امارة المعنيين إلى الأمراء الشهابيين وانتخب اللبنانيون بإجماع طوائفهم الأمير حيدر حاكمًا عليهم . ووقعت في عهده معركة «عين دارا» الشهيرة فانتهت بانتصاره على الجيوش العثمانية وتمزيقهم شر ممزق .

ورزق الأمير حيدر ثمانية بنين أحدهم والد الأمير بشير الكبير معاصر نابليون بونابرت وإبراهيم باشا المصري وصديقهما الحميم فقد حارب الدولة العثمانية معهما جنباً إلى جنب وذلك في عهد السلطان العثماني محمود الثاني ، ودخل الأمير بشير دمشق فاتحاً ثم سار برجاله إلى حمص وحماه وحلب « وأضنة وقونية » في الاناضول وانتصر انتصاراً باهراً في وقعة « كوكاهيا » الرهيبة وتلاه نصر جديد في معركة « نزيب » الشهيرة حيث دخل برجاله « بروسة » فانفتحت أمامهم أبواب القسطنطينية ووقفوا على ضفاف البسفور ، ولولا مساعدة انكلترا واتفاق روسيا مع الدولة العثمانية لكان إبراهيم باشا المصري والأمير بشير الشهابي الكبير أسسا دولة عربية كبرى وكان تم ذلك عام ٨٣٥

وقد ازدهرت اللغة العربية في عهد الأمير بشير أيما ازدهار فنشّط العلماء وأغدق عليهم عطاياه الجزيلة فظهرت أئمة الأدب وأعلام البيان : منهم الشيخان أمين الجندي وناصيف اليازجي والهلالي والبستاني والشاعر الشهير بطرس كرامه وخلافهم من اساطين العلم والفضل .

تاج الدين الحسني



متوسط القامة ، أدنى إلى القِصَر منه إلى الطول ، مستدير الوجه تحت تاج من تيجان العرب ، إذا حسرتَ العمة عن رأسه رأيت صلعة في صفاء المرآة على حفافيه نبت خفيف ، أشهل العينين فيهما الحدقتان المرتجتان المتحيرتان في عيون أكثر نوابغ العالم ، تستوعي نظرَك منه تلك الجبهةُ الواضحة العريضة . وما أن تطلع منه على تلك الجبهة إلا أحسست أنه رجل خُلق « حركة متمادية » وخلق « قطعة سياسية » للكفاح والنضال ؛ قصير العنق ، عريض الألواح ، متوافر اللحم ، مزحوم الأعضاء ؛ فيخيل لك أن سنه تكنز ثلاثين عاماً لا أكثر . فجسمه يبدأ دقيقاً من طرفيه كليهما ثم لا يزال يتدرج في الغلظ من كلتا الناحيتين حتى يبلغ السمن منتهاه . رفيع الصوت ، خفيف شعر العارضين ، أبيض اللون ، قصير الأنف عَلَى فم رقيق الشفتين يكاد لا يبين ولا ينكشف .

وَلُوعٌ بنفسه فيخشى أن تعتريها الأيام بمكروه ، ويظهر الرضى مهما يتكدر العيش ويتنكر وجه الزمان ، وافر الذكاء ، المعيّ لا يعنيه شيء في الدنيا قدر عنايته بإقامة الآثار وتشييد مباني العمران ، فهذا صرح الجامعة السورية الشامخ ، وقصر بلودان ناطح السحاب ، ودور الحكومات في الأقضية ،

ومخافر الجند بين العاصمة حتى ضفاف الفرات وقلب الجزيرة إلى ما وراء الخابور ، كلها من صنع يديه ومآثره

وربما استراح إلى الحياة الأوربية أكثر من ارتياحه إلى الحياة — البلدية — فهو يجاري مظاهر الحضارة ورقيهـا ، فلا يرى بأساً بأن يحضر — البالوات — والحفلات في قصر الصنوبر ببيروت . ومع ذلك فلا يبعث الألسن بتنقص الآداب الإسلامية والقول بأنه يدعو إلى الجمود ومناهضة عوامل الرقي والتقدم في الدنيا ، على أنه جمع بين أقصى مطالب الدين بوالده المحدث الاكبر الاستاذ الشيخ بدر الدين وأقصى مطالب الدنيا بذاته ، فكان سيان عنده إذا تبلغ بالرغفان واتتدم بالخل والزيت والفول — المدمس — في دارة الحديث وبيت الندوة . أو أكل « البفتك والكستلانة » في نزل سانت جورج .

ولعل الله براه شخصية غريبة في بابها خرجت إلى هـذه الدنيا على غير سابق مثال . فإذا تهيأ لي أن ألمح جانباً من هذه النفسية الغريبة وأن أصورها للقارئ كما لمحت فالأستاذ إنما يأخذ نفسه بالاحتياط التام في كل قول وفي كل عمل .

وقلّ أن تراه يتبسط في حديث إلا إلى نفر من صفوة خلانه ، كالإشي بك ، والقومندان كوله .

يعتقد فخامة الاستاذ أن الكتلة الوطنية هي التي جنت على البلاد بالسياسة السلبية ، وأن – المواد الست – أدخلتها الحكومة المنتدبة في صلب الدستور تحفظاً وضمانة عَلَى أثر الاجتماع الذي عقد في دار البارودي وأدّى إلى النتائج المعلومة .

وان موقف الكتلة منه إذ ذاك أحرجه فأخرجه عن موضعه في صفهم حين أقسم رجالها في نفس الاجتماع يميناً بأن لا ينتخبوا سوى إبراهيم بك هنانو لرئاسة الجمهورية . وقد كان المرحوم فوزي بك الغزي في جانب الاستاذ ضمناً لكنه أَعرض عنه أخيراً مجاراةً لاخوانه ومجاملة لهم وخوفاً على مركزه بعد أن هاجمه الدكتور الكيالي والبارودي ، فلهذا السبب ولخلافه يزعم الاستاذ أن الزعماء الوطنيين لا يأتون عملاً إلا مراعاة لرأي الناس ، فهم يخشون أن يلاموا ويودّون أن يمدحوا . فليس الشر عَلَى السوريين إلاّ في عدم الرضى . فقد يكون خير الوطن فيما يراه المعارضون شرّاً ، وضرراً فيما يرونه نفعاً ، فمن مقتضيات – الحكمة الاجتماعية – ومن شروط الزعامة أن لا يكون الحاكم عادلاً إلاّ بقليل من الاستبداد ! . ولا تنهض أمة إلاّ نزلت على إرادة زعيمها لا إذا نزل الزعيم على إرادتها ! ..

وهو يرى إلى ذلك أن فرج النفوس بتبدل الحكومة زمناً بعد زمن .

رأيه السياسي

ثمّ يرى أن السياسة يجب أن تكون مكتومة إذا أريد بها الإصلاح في بلاد مشمولة بالانتداب مهما يكن نوعه .

أقوال الناس فيه

فردٌ جمع في شخصه مطامع أمةٍ ، وإلا فبماذا نفسر ظهوره ، وهو الوحيد الاعزل إلاَّ من الاعتماد على النفس ، على قوة منظمة هي الكتلة الوطنية ، فيأبى عليه طموحه إلاَّ أن يسير في الطليعة حتى ولو كان صاحب المقام الرسمي الثاني في الحكومة السورية . والواقع أنه لا شيء يفصل بينه وبين المنصب الاول .

ومما لا جدال فيه أن الأستاذ لو كان في جانب المعارضة لكان محتملا جداً أن تتغير مجاري السياسة في البلاد . فهو حمل لواء الوطنية زمناً وعقدت عليه راية الزعامة حتى أمسى – تاج القائمين – في انتخاب عام ١٩٢٨

وقد لا نبخس أحداً من الثلاثة حقهُ إذا قلنا إن الأستاذ الحسني يعدل اثنين من أقطاب الكتلة الوطنية ، وروح حركتها ،

ففيه من جميل مردم بك مرونته ولباقته ودهاؤه . ومن فائز بك الخوري ذكاؤه المتوقد ، وبعدُ نظره في الأمور ، وتضلعه في الفقه . فلا يعجزه البيان ولا يخونه المنطق أن يبرئ ذمته في أيّ حادث سياسي بجواب مهما تختلف العلل وتتنوع الأسباب .

طبائعه

أول ما ظن الناس بالأستاذ أنه سينبعث بهوى الانتقام مني لقول أفرطت به نحوه في عهد حكومته السابقة ، ولكنه لم يكن عند رأي أحد من أولئك المتعجلين جميعاً . فقد ارتفع به طبعه عن أن يغير فيه شيئاً لمجرد الشهوة في التشفي وارتفعت به نفسه عن أن ينكل بالأديب لكي يرضي السياسة وأثبت للملأ أن ليس للشيخ حقد الرهبان !.

حياته السياسية

في عام ١٩١٢ عين أستاذاً للعلوم الدينية في المدرسة السلطانية بدمشق ، وعضواً في مجلس إصلاح المدارس ، وعضواً في المجلس العمومي لولاية سورية .

وفي العهد الفيصلي كان عضواً في المؤتمر السوري الشهير .

وفي عام ١٩٢٠ عين مديراً للعلمية ، ثم عضواً في مجلس الشورى ، ثم عضواً في محكمة التمييز ، ثم قاضياً للشرع

الشريف في العاصمة ، ودرّس الوصايا والفرائض وأحكام الزواج وأصول الفقه في معهد الحقوق .

ثمّ عين رئيساً لمجلس الوزراء العالي ، وانتخب عضواً في الجمعية التأسيسية .

ثم أقيلت وزارته في عام ١٩٣١

ثم عاد إلى استلام الحكم ، رئيساً للحكومة في الجمهورية السورية الأولى عام ١٩٣٤



جميل بك مردم بك

وقف الزمان ساعة عن الدوران يوم مولد جميل مردم بك ، منصتا متلفتاً ، ينظر اليه : أملكا جاء هذا أم بشرا ، كما تنصت النفساء لدن الوضع لتعلم أأنثى رزقها الله أم ذكرا ؟؟

حياته السياسية

بدأ عمله السياسي في باريس ، فانتخب سكرتيراً للمؤتمر العربي الأول ، وفي غضون الحرب الكبرى سافر إلى أميركا بدعوة الجالية العربية فيها للاشتراك بالحرب إلى جانب الحلفاء الذين قطعوا العهود على أنفسهم بتحقيق استقلال سورية .

وكانت في ذلك العهد قد ظهرت فكرة الانتداب فعاد إلى دمشق سنة ١٩١٩ وكان عاملاً فعالاً في تحويل الأفكار عن طلب الانتداب الانكليزي .

ولما أعلن استقلال سورية وتألفت الوزارة الأتاسية عين مستشاراً لوزارة الخارجية .

ولما تأسس حزب الشعب كان عاملاً فعالاً في تأسيسه وعضواً في هيئته الادارية ، ولما تحركت الثورة السورية

التحق بها وأقام ثلاثة أشهر في جبل الدروز ، ثم سافر إلى حيفا ، فسلمته السلطة الانكليزية إلى السلطة الفرنسية ، وعندما كانت مراسم التسليم تجري على الحدود ، قال له الكولونيل الانكليزي: إننا بكل أسف نتركك في هذا المكان ، لأنك دخلت فلسطين بدون جواز سفر . فأجابه جميل بك قائلاً : بل قل إنك تسلم لاجئاً سياسياً إلى خصومه السياسيين . على أنني أفضل ألف مرة أن يضطهدني الفرنسيون على أن أظل حراً مقيماً في بلادٍ يرتفع فيها العلم البريطاني .

ثم نفي إلى جزيرة أرواد . وأطلق سراحه بعد شهرين فعاد إلى الاشتغال بسياسة بلاده في الطرق الرشيدة .

وفي عام ١٩٣٢ انتخب نائباً عن مدينة دمشق ثم أعلن الحكم الجمهوري وتألفت وزارة نيابية كان جميل بك فيها وزير المال ، ثمّ استقال منها وآثر الرجوع إلى ميدان الجهاد السياسي .

مسلكه

يفاجئ الأحداث السياسية قبل وقوعها فيعالجها بمهارة فائقة ، فيظن البعض أن في مبدئه التواء وليس هو إلا عدة الكفاح ووسائل القتال . فلكل داء عنده دواء ، ولكل سبب حكم على مقتضى الحال .

يرى السياسة الموضعية خيطاً في السياسة العالمية الكبرى فلا تنفك بين أخذ ورد ، وشد ومد ، وصعود وهبوط — كأسعار البورصة في الاسواق المالية ، فيتدبر لها من أمره ما شاء ، ويظن أنه عزل من السلاح حتى إذا التحم مع خصمه ظهر جباراً لا يرام.

فواصل

سياسي عالمي ، وعلم من أعلام العرب في البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسي ، يجرب الشؤون العامة بمناهج متنوعة وأساليب متباعدة ، فيدخل من باب ويخرج من آخر ، فلا تنزلق رجله ولا تزل به القدم في مزالقها الرجراجة . وإذا حياه عدوه بتحية ونادى « حي على الفلاح » ـ السلم لمن يريد السلم ـ اجابه بتحية أحسن منها والطف . وتقدم إليه بكلتا يديه .

أقوال الناس فيه

ما سلم من ألسنتهم بل عابوا لونه حيناً وطعنوا في مذهبه ورموا موقفه بالشك والاتهام ، وهو في عين الوقت ما برح ابن عقيدة راسخة وإيمان قوي ، غير أنهم رأوا عدة الجهاد عنده شتى الأشكال والألوان ، فقصروا عن إدراكها ، والهدف لديه واحد لا يزيد ؟ .. ولا عجب فالناس صنفان : منهم من يعلم أنّ عمله مجيد ولا يريد أن يعلم ، ومنهم من لا يعلم لأنه لا يقدر

أن يعلم ، وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟؟

مزاياه

يستعرض المستقبل بقلبه ، كما يرى الإنسان صور الماضي والحاضر بعينه .

مقامه الاجتماعي

هو عصب الكتلة الوطنية ، والحركة المستمرة فيها .

موقفه

طالما باشر الأحداث الوطنية وحادثاتها ، فكانت بدايته موضع النهاية لسواه . وأوله آخراً لخلافه . فيخلع الثوب العتيق عن جسده ، فيتخذه الآخرون لباساً جديداً نظيفاً .

ويغوص في لجة البحر ، ثم يخرج منها بلا بلل ، ويخوض غمرة الميدان ولا يعلق عليه غبار المعركة .

جميل بك الالشي



لا شك أن جماعة الموظفين هم أحرص الناس على كتمان مذهبهم والوجهِ الذي يميلون إليه في الوضع السياسي ، وأحرص الموظفين كافة معالي الوزراء ، وأحرص من هؤلاء على الإطلاق وزير الاشغال العامة جميل بك الإلشي الذي زادته التربية العسكرية رسوخاً في هذا المضمار كما تقتضيه فنون الحرب، وربما كان النصر حليف القادة الماهرين في تنويع الأساليب فيستعرضون بضعة جنود في ساحة القتال فيشهد العدو منها جيشاً لجباً فيخشى قوة المحاربين ويرهب ولا يدري في كلا الحالين أنه أخيب من القابض على الهواء والمستند إلى الماء ، وكثيراً ما يُظهر كبار الدولة من القوة ضعفاً ، ومن الضَّعف قوة ، ويضمرون عكس ما يبدون ، ويقولون ما لا يريدون ، ولكنهم في الأَخير ينزلون على حكم المقام الرسمي . ولولا هذه الاحوال المتناقضة لفسدت الأعمال السياسية وساء المصير . فإنها من لزوميات الشؤون العامة والقواعد النافعة للبلاد شعباً وحكومة .

غير أن الكاتب المدقق لا يصعب عليه استنتاج الرأي الصحيح أو ما يقاربه بطريقتي الاستدلال والاستقراء ، كالطبيب الماهر يكشف عن مكامن الداء في العليل مهما يحاول هذا نفياً وإنكاراً . فامارات الصحة ودلائلها تبدو على وجه السليم

المعافى !.. لذلك نقدر أن نتقدم من القراء برأي معالي جميل بك قائلين :

هناك بالقرب من محلة ـ النوفرة ـ أقدمُ حي من أحياء دمشق الواقع في الجهة الشرقية من الجامع الأموي بجوار دار المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني ، يقوم مكان بسيط للغاية ، أشبه شيء – بقهوة خبيني – اتخذه المسيو لويجي صيدليةً له ، ولعله اختارها على الشكل الموصوف خشية أن تنفذ إليها الشمس ، ولئلا يتخلل الهواء بابها ، فتنقل الأولى بواسطة شعاعها ويحمل الآخر بأمواج الأثير مقررات ثلاثة عظام في المدينة هم : فخامة الأستاذ الحسني ، والوزير المشار إليه ، والمرحوم الشيخ عبد القادر الخطيب . فكم كانت مقراً لهم عقدوا فيها جلساتهم وقلبوا الرأي على نواحيه جميعاً في مصير النهضة الوطنية !..

وبرغم فساد جو المكان المذكور الذي قال فيه أحد الظرفاء : إنه إذا دخل إليه سليم الجسد ، خرج منه مصاباً – بالأنفلونزا – وإذا ابتاع المريض من مستحضراته شيئاً فيه شفاء للناس ، لا يلبث أن ينقلب محمولاً إلى بيته جنازة على الأكتاف !!..

ولكن بقدر ما في المكان المحكي عنه من خطر محقق

على سلامة الانسان، بقدر ما كان نجاح الرجال الثلاثة في الأمور التي يتدبرون، فجوّه منزل للتفكير الصالح ومسرح للخواطر الصائبة. فطالما تفتقت الأذهان ونفتحت البصائر عن مثل علم الغيب، أو ما هو دونه، فتفجروا عرفاناً بالمستقبل للبلد السوري العتيد!.

ومن مميزات المكان المومأ إليه: أن الجالس فيه يرى الساري والسارب والقادم والذاهب وليس يراه أحد من الناس ما دامت الظلمة مخيمة في فضائه طبقات بعضها فوق بعض، فقصر الصنوبر في بيروت ليس أعظم سراً من هذه الصيدلية ولا هو أجل كرامة وشأناً منها. فكم نظمت فيها قوائم بتشكيل الحكومات السورية؟ وكم مرة انقلب فيها الكفرة قديسين أطهاراً – برشة – ماء بارد على وجوههم. ثم انكفأ عنها الخطاة أقوياء الإيمان صحاح العقيدة؟. فلا عجب، ففي بيت لحم وفي مزود البقر الحقير ولد السيد المسيح ومطلع النجم الهادي.

رأيه السياسي

يعتقد أن المسألة السورية يجب أن يكون مرجع حلها المنطق وحده. وحجج المنطق واضحة، فإما أن تكون

سورية صاحبة حق فتحلّ لها فرنسا مشكلاتها أحسن حل ، وإمّا أن تكون فرنسا في هذه المشكلة صاحبة حق فتنقاد سوريه اليها انقياد الواثق المطمئن — ويعتقد أيضاً اعتقاداً قوياً أن بلاد الشام لا تشبه سواها من المستعمرات الدولية ، فلها روح خاص . فكم دخلتها دول كثيرة ثم خرجت منها كما دخلت إليها وبقيت الشام وحدها بلغتها وأخلاقها وعاداتها .

خواصه وصفاته

فيه انقباض عن الناس إلاّ للذين يستأنس بامزجتهم ، فظاهره يخدع باطنه ، فمن يره لأول وهلة يحكم عليه حكماً جائراً . ولكن بقدر ما عنده من هذا الظاهر الجدي ، بقدر ما هو لطيف في الحقيقة ؛ إنما هذا أمرٌ لا يعرفه إلا خاصة جلسائه . ومن تباين هذا الظاهر والباطن نشأ انقباض بعض الناس عنه . ولكن هذا ينقلب انبساطاً محضاً في جلسة واحدة إذا اتصلوا به .

أبغض شيءٌ إليه الفضولية ، فلا يتدخل فيما لا يعنيه في أيّ حال من الأحوال . وهو شديد الثقة بنفسه ، لا يسأل عن أحد مهما يعظم أمره . ولولا علمنا بأنه درس علومه بمدارسَ تركية لحكمنا بأن روحه إنكليزية سكسونية .

ومن أوصافه : انه جاء ربعة بين الرجال ، أشرف على

العقد السادس ، كبير الدماغ ، واسع العارضة وصفحة الخد ، مستطيل الوجه قليلاً فيه السمرة السورية اللطيفة .

وإذا أنت سمعته يتحدث ولم تعرف من المتكلم ، حكمت بأنه جندي باسل عودته الأيام كيف يجب أن يطاع . فهو من أركان الحرب في الجيش العثماني اللامعين .

بذلك شهدت قيادة الألمان العامة ، ان في دمشق خمسة بزوا أعظم قادة العالم خبرة في الفنون الحربية هم : أحمد بك اللحام ، ونصوحي بك البخاري ، ورضا باشا الركابي ، ويحيى حياتي بك ، والوزير المشار إليه . وفي حلب : شاكر بك الشعباني .

حياته السياسية

في عام ١٩٠٦ تخرج جميل بك من مدرسة أركان الحربية في الآستانة برتبة ضابط واستخدم في الجيش العثماني . وفي خلال الحرب العالمية اتهمه جمال باشا بموالاته الحزب العربي واتصاله به ، فسجن في لبنان سنة أشهر ثم برئ وعين قائداً لفرقة عسكرية في الدردنيل . وبعد دخول الحلفاء سورية تألفت الحكومة العربية بدمشق وعين معتمداً لها في مدينة بيروت ثم عين رئيساً لمرافقي جلالة الملك فيصل ، ثم عين وزيراً للحربية في وزارة المرحوم علاء الدين بك الدروبي ،

ثم انتخب وكيلاً لرئاسة مجلس الوزراء من قبل أصحاب المعالي الوزراء فارس بك الخوري وبديع بك المؤيد ويوسف بك الحكيم وجلال بك زهدي – بعد مقتل المرحوم علاء الدين بك الدروبي في حادثة خربة الغزالة ·

وفي عام ١٩٢٠ كلفه الجنرال غورو تشكيل وزارة · فألفها ثم استقال[1] واعتزل السياسة حتى عام ١٩٢٨ ·

ولما أعلنت انتخابات المجلس التأسيسي دعي فخامة الاستاذ الحسني إلى تسنم منصب رياسة مجلس الوزارة ، واختار جميلاً وزيراً لمالية الدولة ، فنقم عليه معظم الأهلين لاشتغاله بالشؤون السياسية · ثم استقالت الحكومة «التاجية» بمناسبة إعلان الدستور وتشكلت حكومة جمهورية نيابية عهد برئاسة وزارتها إلى حقي بك العظم · ثم استقالت وخلفتها الحكومة «التاجية» العتيدة فعاد جميل بك وزيراً للاشغال العامة ، وتحول عن السياسة وتنكب · وانصرف كل الانصراف إلى معالجة الخدمات العامة فاكتسب بذلك محبة الشعب وقدر جهوده الكبيرة ·

---

(١) استقال يومئذ لأنه رفض طلب الجنرال غورو بتحويل مجلس الوزراء إلى مجلس مديرين · وكان الاتفاق يومئذ بين الوزراء أن يستقيلوا بأجمعهم ، ولما استقال هو لم يستقل الباقون · – المؤلف –

شديد إلى درجة متناهية في ضبط ما يعهد به إليه من المصالح والوظائف . أما في غير ميدان الوظيفة والقيام بالواجب الرسمي فقد اشتهر بلين الجانب ولطف الحديث والمعشر ، وهو على جانب كبير من الثقافة العالية ، ويتقن من اللغات قراءةً وكتابة فضلاً عن لغته العربية : الفرنسية والتركية والألمانية وقليلاً من الانكليزية ، واشتهر في علم أصول المالية كما اشتهر بالفنون العسكرية .

حقي بك العظم

دستوره السياسي

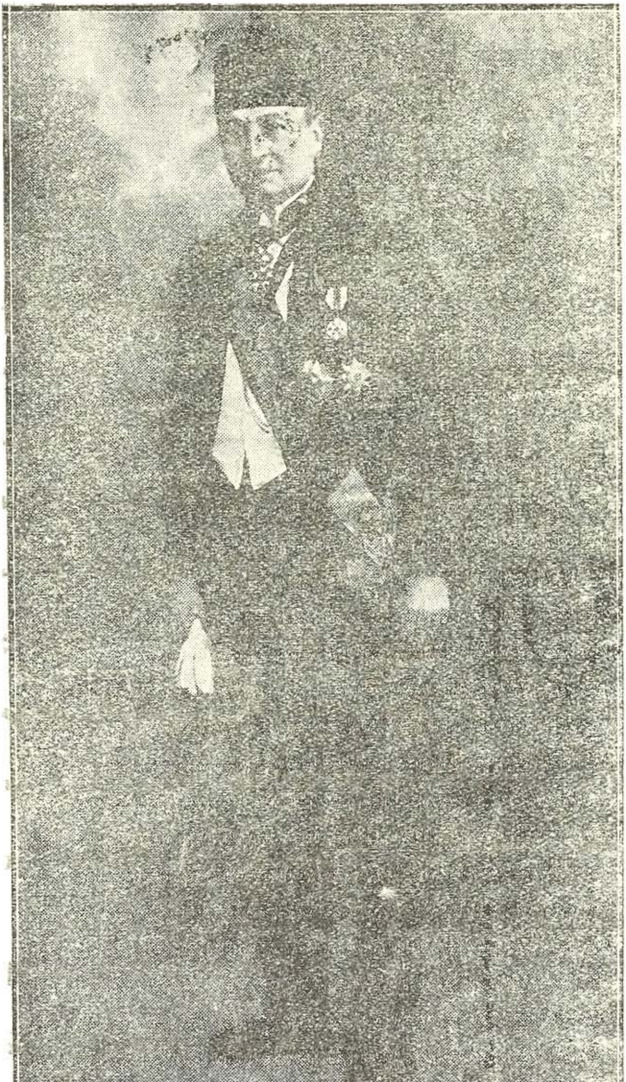
التفاهم النزيه ؛ وقاعدته الكلية : خذ وطالب .

رأيه في القضية

يرى أن البلاد مرت عليها فرص عديدة ، أهمها في ثلاثة مواضع : الأولى منها اتفاق فيصل — كليمانصو — الثانية برنامج ده جوفنيل — الداماد . الثالثة المعاهدة التي وضعت في عهد حكومته الأخيرة .

ويزعم أن الموقف السلبي لا ينقذ الوطن من الأزمات الاقتصادية ، بل يزيد الحالة حرجاً وضيقاً . وإنما سياسة المراحل أي طريقة - خذ وطالب — هي أفضل المسالك وبها تنال الشعوب الضعيفة السيادة القومية ، وتبني عليها الأمم المغلوبة استقلالها العزيز . ودليله أن المصريين والعراقيين قد ساروا على هذا الدرب ، فنالوا شيئاً غير قليل من المطالب والآمال .

على أنه يحترم رجال المعارضة في الحقل الوطني ، وله في



جملتهم أصدقاء كثيرون ، تقوم بينه وبينهم مودة خالصة برغم اختلاف الأساليب السياسية ونواحي التفكير .

وهذه المودة لاتمنعه من المجاهرة بخطل رأيهم في المسير على المناهج السلبية ، فلو انهم طالبوا فأخذوا ثمّ طالبوا فأخذوا دواليك لكانوا بلغوا القصد البعيد والغاية القصوى .

رأيه في الانتداب

إذا لم يكن من الانتداب بدٌّ فأفضله الانتداب الفرنسي . والبراهين لديه كثيرة نكتفي بذكر واحد منها على سبيل المثال هو : رأفة الدولة المنتدبة وحلمها خلال الثورة السورية وعفوها عن الذين لم يتورعوا حتى عن الفتك بالضباط الفرنسيين .

قواعده وأقوال الناس فيه

هو « كتاب مفتوح » يطالع فيه الناس صراحة القول والعمل والنية أيضاً ، وليس أشهر منه في عداد الشخصيات الرسمية البارزة ، فإنه حاكم سورية الفخري ، وليس أشهر من آرائه السياسية فلا يزيد فيها شيءٌ ولا ينقص منها شيءٌ برغم تقلب الأيام ، ومهما تتغير الأحوال وتتطاول السنون عليها فكأنما هي شهادة المؤمن التقي أمام المحاكم يخشى عذاب النار ؟؟ . وهو الذي استطاع وحده أن يجمع في وزارته

الغنم إلى جانب الذئب ؟.. ويعرف هذا في اصطلاح السياسة وعلم الادارة — بعدم التجانس — .

وعلل علماء الاجتماع هذه القوة بأحد سببين لا ثالث لهما : أحدهما أنه خفيف الوطأة على خصومه السياسيين ، فلا يحذرون بطشه ، ولا يرهبون جانبه ؛ والآخر أنه نبيل المحتد فله من مقام أسرته العريقة في المجد والشرف ما يجعله في المكان الأول ، فلا يرى واحد غضاضة عليه إذا هو انضوى تحت لوائه .

والقول الأخير هو الأرجح من الأول عند جماعة المفكرين .

وطالما وجدت به السلطة حلاً صالحاً للمشاكل عند ظهور الأزمات الوزارية فقلدته زمام الأمور ، فسكنت العواصف الهوجاء ؟ ..

رأيه في الوحدة

هو من طلاب الوحدة ولكن على أساس اللامركزية ، وقد ناضل في هذا السبيل سنة ٩١٨ - ٩١٩ بعض القلاقل من الانفصاليين . وله جملة مقالات نشرت في المقطم والمستقبل التي كانت تصدر في باريز إبان سني الحرب الكونية في هذا الصدد تشهد على ذلك . غير أنه يعتقد الآن أن تحقيق

الوحدة في الوقت الحاضر سابقٌ أوانه . ومن الحكمة والتدبير الحسن أن يترك تحقيق ذلك إلى الزمن الذي يبلغنا تلك الأمنية الغالية، وليس الوقت الذي يعنيه بقوله بعيداً عنا !..

على أنه سعى مع رفاقه الوزراء ، حتى أقنعوا المسيو دهمارتيل بوضع مواد في المعاهدة هي الخطوة المتينة الأولى للوصول إلى الوحدة مع اللاذقية وجبل الدروز ، وكان لهم ما أرادوا .

أما الوحدة العربية الكبرى ، فيرى تحقيقها محالاً إذا لم تحقق الوحدة السورية ، لتكون نواة في المستقبل للوحدة العامة .

حياته السياسية

في سنة ١٨٩٥ عين في احد فروع وزارة المعارف المصرية برتب شهري قدره ستة جنيهات ، وبعد سنتين جعل مرتبه ثمانية جنيهات . وفي سنة ٩٠٨ نقل إلى ديوان أمانة السر في وزارة المعارف بأمر وزيرها المرحوم سعد باشا زغلول فبلغ مرتبه اثني عشر جنيهاً شهرياً .

ولما أعلن الدستور في تركية عام ١٩٠٩ عين مفتشاً من الدرجة الثانية في وزارة الأوقاف العثمانية في الآستانة وجعل مرتبه الشهري ثلاثين ليرة عثمانية . وفي سنة ١٩١٠ رقي إلى درجة مفتش من الدرجة الأولى وزيد مرتبه خمس ليرات .

وفي سنة ١٩١١ استقال من وظيفته وعاد إلى مصر بالنظر لسلوك جمعية الاتحاد والترقي السيئ مع العرب العثمانيين خصوصاً وسائر العناصر غير التركية عموماً . وظل هناك طيلة الحرب الكونية . ولما دخل الفرنسيون سورية الداخلية عاد إلى وطنه بطلب من الجنرال غورو حيث عين رئيساً لمجلس الشورى في وزارة جميل بك الإلشي سنة ١٩٢٠ ، وفي أواخر هذه السنة استقال جميل بك من منصبه فعين حقي بك حاكماً على مقاطعة دمشق .

وفي أول سنة ١٩٢٥ ألغيت حاكمية دمشق فنقل حقي بك إلى رئاسة مجلس الشورى للمرة الثانية بدرجة وزير وبمرتبه وامتيازاته وذلك عندما أنشئت دولة سورية التي ترأس عليها صبحي بك بركات . وظل حقي بك في رئاسة الشورى حتى سنة ١٩٣٢ حيث انتخب نائباً عن مدينة دمشق . وفي حزيران من السنة المذكورة تولى رئاسة وزارة الجمهورية السورية .

وفي سنة ١٩٣٤ استقال من منصبه وأعيد إلى رئاسة الشورى بدرجة وزارة ومرتباتها وامتيازاتها . وهكذا احتفظ بالنيابة أيضاً وهو لا يزال يشغل هذا المنصب .

فُطر حقي بك على حب الحرية وبغض الاستبداد ، فلما شبّ ورأى سوء أحوال الدولة العثمانية ومعاملتهم القاسية للعرب في حين أن هؤلاء يؤلفون فيها قسماً كبيراً جداً ، علم أنّ مصير هذه الدولة الى الانقراض والفناء إذا لم يتدارك المخلصون أمرها . فاتفق وابن عمه المرحوم العلامة رفيق بك العظم وبعض الأفاضل المقيمين في مصر من ترك وعرب ، وأنشأوا جمعية أسموها « جمعية الشورى العثمانية » وأصدروا لها جريدة بهذا الاسم باللغتين العربية والتركية وذلك لمحاربة استبداد المغفور له السلطان عبد الحميد الثاني والمطالبة بالدستور والحكم النيابي . وقد ظلت هذه الجمعية تبذل السعي في سبيل الحصول على الدستور حتى أعلنت الحرّية في أواخر سنة ١٩٠٨ .

ولما اشتدّ تذمر العناصر غير التركية من استبداد جمعية الاتحاد والترقي اجتمع السوريون واللبنانيون في مصر وأنشأوا حزباً أسموه « حزب اللامركزية العثماني » وانتخب له المرحوم رفيق بك العظم رئيساً ، والمرحوم إسكندر بك عمون نائب رئيس ، وحقي بك كاتم الأسرار العام . وكان من أعضاء مجلس إدارة الحزب رجال من كبار الادباء المشتغلين بالسياسة

أمثال السيد رشيد رضا والمرحومين داود بك بركات والدكتور شبلي شميل ، وسامي بك جريديني ، وعبد الحميد الزهراوي ، ونخله بك التويني وخلافهم . وقد توسعت هذه الجمعية وانتشرت في جميع الأقطار العربية ، وتألفت لها فروع كثيرة . وكان غرض هذه الجمعية الحصول على الحكم اللامركزي .

ويعزو بعض الناس لهذا الحزب مقاصد استقلالية ترمي إلى الانفصال المطلق عن الدولة . وهذا لم يكن صحيحاً . والحقيقة أن الحزب كان يطلب اللامركزية فقط ، ليس للولايات العربية فحسب ، بل لسائر البلاد العثمانية . وبلادٌ واسعة مثل المملكة العثمانية تسكنها عناصر مختلفة الأجناس والأديان واللغات والعادات والطبائع ، لا تتسنى إدارتها بمركزية ضيقة النطاق .

وظلّ هذا الحزب ينشر مبادئه حتى دخلت تركية الحرب العامة فقرر حينئذ وقف الأعمال والدعايات موقتاً حتى انحلّ طبعاً بعد المهادنة بانحلال الدولة العثمانية نفسها . ولمّا تحقق حقي بك ، بعد دخول الدولة العثمانية في الحرب الكونية ضدّ الحلفاء ، أنّ مصير هذه الدولة الانقراض حتماً وأنه لا بدّ أن يكون لفرنسا شأنٌ في سورية بعد النصر النهائي ،

اتفق مع الزعيم اللبناني الكبير عبد الله باشا صفير وخلافه من الرجالات اللبنانيين والسوريين في مصر أمثال يوسف منصور شكور باشا وفريد باشا بابازوغلو والدكتور غريب والفونس بك زينيه . فألفوا الجمعية السورية اللبنانية التي دخل فيها في مدة قصيرة أكثر من خمسة آلاف شخص . والقصد من تأليف هذه الجمعية النظر في مصير سورية ولبنان على أن يكون الانتداب لفرنسه مع استقلالهما استقلالاً تاماً في الإدارة حتى يصلا إلى الاستقلال التام السياسي في مدى غير بعيد .

وقد انتخب عبد الله باشا صفير رئيساً لهذه الجمعية ، وحقي بك نائب رئيس ، ويوسف باشا شكور كاتماً لأسرارها ، والفونس بك زينيه خازناً لأموالها . وعينت الجمعية شكري بك غانم الشهير معتمداً لها في باريز . وظلت هذه الجمعية تعمل في حقل السياسة حتى سنة ١٩٢٣ ثمّ انحلت .

علومه

يجيد اللغات الثلاث : العربية والتركية والفرنسية .

وكان في مصر ينشر في غالب الجرائد مقالات تعلن آراءه وأفكاره كما أنه كان خلال الحرب يكاتب جريدة « المستقبل » التي كانت تصدر في باريز باللغة العربية .

مؤلفاته

له مؤلفات عديدة منها (حرب بلغتا) التي وقعت بين الدولة العثمانية وسورية في سنة ٩٧٧ تحت قيادة عثمان باشا الغازي الشهير . و (حرب اليونان) في سنة ١٨٩٧ . و (رواية الخادعين) و (مضحكات الرقيب) مترجمة من اللغة الفرنسية إلى التركية . و (محاضر مجلس النواب في سنة ١٨٧٦) . ورحلتي الحبشة والكفرة لصادق باشا العظم المؤيد ، نقلهما حقي بك من التركية إلى اللغة العربية باشتراك ابن عمه المرحوم رفيق بك العظم .

أوسمته

يحمل وسام اللجيون دونور الفرنسي من درجة (كوماندور) والاستحقاق السوري من الدرجة الأولى ، والوشاح الأكبر ، ووسام النيل المصري ، ووسام (شيرو خورشيد) الفارسي من الدرجه الثانية . ويحمل أيضاً لقب (حاكم سورية الفخري) ويظن البعض أنه حاكم فخري لمقاطعة دمشق وحدها . وهذا غلط فإنه حاكم فخري لسورية وليس لدولة دمشق الملغاة التي لم يبق لها أثر في الوجود .

ومن الأمور الخطيرة التي عرضت لحقي بك في حياته السياسية أن حكمت عليه محكمة جمال باشا العسكرية في

أوائل الحرب بالإعدام بمادة الخروج على الدولة العثمانية مع من حكمت عليهم من رجالات سورية المشهورين ·

ومن تلك الأمور إصابته بجروح من رصاصات كمين قطع رجاله الطريق على الجنرال غورو في أوائل سنة ١٩٢٢ بينما كان قاصداً إلى القنيطرة ، وكان عدد رجال هذا الكمين ستة فرسان جاؤوا من شرق الأردن لتنفيذ هذه المؤامرة فأطلقوا رصاص بنادقهم على الجنرال بالقرب من الشوكتلية ، فأخطأوه ولكنهم أصابوا مرافقه الليوتنان « برانه » فأردوه قتيلا · وأصيب حقي بك بثلاث رصاصات وقد ابدى أثناء وقوع المكيدة بسالة نادرة ممّا جعلت الجنرال غورو بعد عودته ينوه بذلك رسمياً في وليمة أقامتها له البلدية مساء يوم حدوث المكيدة نفسه ·

حسن بك جباره

صفاته وخواصه

يُطلّ عليك بقامة طويلة ممشوقة ، دارت عليها الشمس ثلاثين مرة فأكثر ، فتفتحت عينه على الربيع والخريف والصيف والشتاء ثلاثين مرة أيضاً ، وأقبلت عليه الدنيا بما يشتهي فإذا هي عنده قلامة ظفر وأدنى ، أسمر اللون ، مستطيل الوجه ، ضخم الأنف ، في أرنبته شمم الرجال متسع الفم ، تحت عينين يلمع فيهما نور الذكاء وينبعث منهما ضياء العزم ومضاء الإرادة والحزم وشعاع الصدق في القول والعمل .



مآثره القومية

هو السدّ المانع من اجتياح الدعوة التركية لواء الاسكندرون ، والعامل الفعّال على نشر الآداب العربية فوق تلك الربوع ، والسيف المصلت على رطانة العجم ، سوّدته عصاميته

فبات عميد العلويين الذين يعدّون (٤٥) بالماية من مجموع سكان اللواء ، وزعيمهم المفدى .

وحسبه فضلاً وإصلاحاً أنَّهُ أنقذ أوقاف الطائفة من أيدي المتولين وربطها بمجلس أوقاف خاص ، وبنى بوارداتها بيوت العلم والعرفان فأنجبت شباباً أماثلَ لامعين .

وقد وضع أسلوباً بيناً واضحاً في أحوال أصول المالية حتى غبطه عليه كبار علماء المالية في العاصمة . ولعلهم اتخذوه دستوراً لهم في العمل وتصريف الأمور القانونية وإجرائها فدلّت الأرقام عَلَى وفرٍ عظيم تمتّعت به خزينة اللواء ، في حين أنَّ دوائر المالية ترزح تحت اعباء العجز الثقيل في البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسي كافة .

حياته السياسية

يفهم مما تقدم أن الأستاذ جباره علم من أعلام الاجتماع ، فهو إنسانيّ يميل إلى الإصلاح وينشد الإخاء البشري ، ولعله يرى السياسة - بترك السياسة - فذلك خيرٌ للبلاد ، وأبقى لأبنائها آنياً .

ودليله على ذلك أننا ما زلنا نحن معشر السوريين شتّى المشارب والمذاهب ، فلا ثقافة واحدة تجمعنا ، ولا وحدة تفكير تجمع مطالبنا وغاياتنا الوطنية ، وليس منشأ هذا

التباعد والتباين إلاّ اختلاف أساليب التعليم وأسباب التربية التي تلقينا مبادئها وتعاليمها على المقاعد الدرسية في أحضان الحكومة العثمانية من قديم الزمان والتي كانت قاعدتها الأولية « فرق تسد » فإذا كانت الواسطة ملتوية فلا يمكن أن تدرك الغاية بسهولة قريبة ·

ولكن متى زالت هذه الأسباب فلا بدّ أن تتوحد الأفكار والمطالب ، ولا بدّ للأمة أن تسير صفًا واحداً منظماً تنشد الحياة والحرية وتكون عالمة كيف تطلب ومتى تغضب وأين ترضي ، فينقاد الاستقلال اليها حينئذٍ طائعاً صاغراً ·

أقوال الناس فيه

هو عنوان اليقظة القومية ، وموضع فخار العلويين ، وليس له عدوّ سوى متولي الأوقاف الذين منعهم عن تناول المال الحرام وتهديم بيوت الناس وتخريب ديار العلم لكي يبنوا هم بيوتهم في مكانها ، ويرفعوا عماد منازلهم على جماجم الشهداء ·

حسن تحسين باشا الفقير

رأيه في القضية السورية

لا يستقيم أمر البلاد السورية الا بضم أجزائها المتفرقة بنوع أن يتشكل منها وحدة حقيقية تديرها حكومة واحدة تهتم اهتماماً صادقاً بتنمية مواردها ، وذلك بتنشيط الزراعة والصناعة وحماية المنتوجات الوطنية . والنظام الملكي الدستوري هو وحده الذي يكفل تحقيق هذه الامنية لانه يفضي حتما إلى ضموز الشكل الحكومي وتقليل عدد الموظفين وحذف كثير من الدوائر الطفيلية وبالنتيجة تخف أعباء الضرائب عن المكلفين .

ولا حياة للبلاد السورية بدون منفذ بحري وبدون استلامها إدارة الجمارك والادارات العامة الاخرى وتسيير دفتها بصورة فعلية حازمة إلى أن يتم لها ما تنشده وتصبو اليه من الاستقلال التام .

رأيه في الدولة المنتدبة

إن الدولة الافرنسية هي خير من يمكنه القيام بعهد الانتداب الموكول اليها من جمعية الامم وإن وجودها بيننا منذ خمسة

عشر عاماً جعلها أدرى من سواها بشؤوننا وبما يلزمنا في طريقنا إلى التحرر التام، والمثل يقول: الذي تعرفه خير من الذي ستتعرف اليه. غير أنه يجدر بها أن تعمل على تخفيف وطأة المستشارين المنتشرين في مختلف الدوائر من إدارية وعسكرية وذلك بتقليل عديدهم وتحديد صلاحياتهم ومنعهم من التدخل إلا فيما له مساس باختصاصهم فيتم بذلك التفاهم والتجانس مع زملائهم الوطنيين ونستقيم إذ ذاك مصالح البلاد والعباد.

نشأته

ولد في دمشق سنة ١٨٨٠ وجدّه لأبيه هو زعيم عشيرة الفقير الموجودة حتى اليوم في الحجاز بجوار مدائن صالح، وجده التاسع صالح الفقير أحد أمراء القبيلة المذكورة هو ابن الشريف حامد ابن الشريف بركات من آل حسين من أشراف المدينة المنورة.

تلقى علومه الأولية في المدارس الابتدائية والرشدية والاعدادية في دمشق والتحق بالمدرسة الحربية في الآستانة وتخرج منها بعد ثلاث سنوات برتبة ملازم ثانٍ سنة ١٨٩١.

حياته العملية

وما زال يتدرج في مراتب الجيش النظامي حتى رتبة قائمقام، وقد اشترك خلال حياته العسكرية في حروب:

الفصيم في نجد ، البلقان ، الحرب الكونية التي شهد أكثر ميادينها فحارب في القرعة وجناق قلعة ، واشترك في حروب رومانيا من مبتدإها إلى منتهاها وكان في طليعة فاتحي رومانيا . وبعد إجلاء الرومانيين عن رومانيا كلها تولى قيادة جبهة زغانا امام نهر السرت وقلعة قلص الشهيرة وبرهن فيها عن مهارة قواد العرب ونبوغهم بما أظهره من الكفاءة والاقتدار . وارسل بعد ذلك إلى شمال القفقاس على رأس بضعة من الضباط وثلاثين عريفا ونائباً لمعاونة القائمقام الشوزى اسماعيل حقي بك الجركس ، وتوفقا معا إلى تشكيل حكومة إسلامية في القفقاس تولى هو نفسه تنظيم جيشها ومدرستها الحربية . وعلى أثر ذلك وصل يوسف عزت باشا الجركس واشترك معه في إتمام تشكيل الحكومة وطرد جيش البلشفيك من جميع أراضيها . وعقيب المهادنة عاد حسن تحسين باشا ورفاقه إلى الآستانة بعد أن خلفوا وراءهم في شمال القفقاس حكومة قائمة على أساس متين منيعة الجانب بحيث حافظت على كيانها وأصبحت حكومة مستقلة داخلة في الاتحاد السوفيتي العام .

خدماته العسكرية بعد الحرب الكونية

أسند إليه جلالة المرحوم فيصل الاول قيادة اللواء النظامي الرابع في عمان . ثم عين قائداً للفرقة النظامية الاولى بدمشق

ولموقع دمشق وبقي في منصبه هذا حتى كانت موقعة ميسلون المشؤومة التي ادّى فيها واجبه العسكري بكل امانة وبسالة وتفان رغم ضآلة عدد جنوده . وعلى أثر دخول جيش الجنرال غورو إلى دمشق صدر أمر خاص باحالته على التقاعد قصد تنحيته عن الجيش . وفي سنة ١٩٢٢ عند وقوع حادثة المستر كراين الاميركي أبعد إلى خارج الحدود السورية في جملة المبعدين السياسيين فاقام في عمان طيلة سنوات ثلاث عمل فيها على تنظيم دوائر الجيش والدرك والشرطة في الإمارة العربية الناشئة وتقلب في عدة مناصب ادارية فعين حاكما للواء الكرك ثم للواء البلقاء ولواء السلط ورقي إلى رتبة أمير لواء . وعندما نشبت الحرب بين السعوديين والحجازيين وجلا افراد البيت الهاشمي الكريم إلى جده عهد إليه صاحب السمو الامير عبد الله بتأليف فرقة النصر وقيادتها لنجدة جلالة الملك علي المحصور آنئذ في جدة . وكان قوام فرقة النصر مائة وسبعين جنديا من المشاة . وحال وصوله إلى جدة عهد إليه صاحب الجلالة الهاشمية بالقيادة العامة فنظم خط الدفاع عن المدينة ورتب حاميتها ترتيباً فنياً دقيقاً . ثم رقاه جلالة الملك إلى رتبة فريق وعهد إليه بوزارة الحربية . وقد دافع عن جدة دفاع الابطال زهاء خمسة عشر شهراً رغم قلة عدد

الجند وفقدان الذخائر والمعدات . ثم عاد إلى عمان بالاجازة وظل فيها سنتين دون عمل بسبب ممانعة الانكليز في تقربه من الحكومة، وما ذلك إلا موجدة عليه وتشفيا منه لعدم إذعانه لمشيئتهم وائتماره بامرهم اثناء حرب جدة لانه برهن عن قوة في الارادة واستقامة في المبدأ واخلاص لرؤسائه وترفع عن الخيانة .

وبعد صدور العفو عن مبعدي السياسة عاد إلى دمشق نهائيًا ولزم منزله مستريحًا من المتاعب والضوضاء . وهو حامل عدة اوسمة أخصها المجيدي الرابع والخامس ومدالية الحرب ومدالية اللياقة الفضية ومدالية الامتياز الفضية من الحكومة العثمانية . ووسام الصليب الحديدي الالماني ووسام النهضة العربية من الدرجة الثالثة الذي انعم عليه به جلالة المغفور له الملك حسين اثناء وجوده حاكما عسكريا في معان ووسام النهضة العربية من الدرجة الاولى بانعام من جلالة الملك علي اثناء توليه القيادة العامة في جدة .

حاشية : ولاربع سنوات خلت دعاه جلالة عاهل اليمن لتنظيم الجيش اليماني، فلبى داعي الواجب . وترك هنالك اثرا طيبا في تدريب الجيش على الاساليب الحربية الحديثة . ومن ثمّ عاد الى وطنه دمشق ولما يزل فيها .

خليل بك الاسعد

صفاته

طويل القامة ممشوقها ، مهيب الطلعة ، سبط اليدين ، محمود الصفات ، شجاع مولع بركوب الخيل يجيد رماية الطير في الهواء .

خواصه

ماضي العزيمة ، حازم الرأي ، سليل الغسانة الاكارم الذين نصبوا بقارعة الطريق خيامهم يستعرضون الركبان قائلين: هلموا إلى منازل الضيفان ودونكم جفان بني غسان .

مزاياه

أديب سليم الذوق ، يحفظ طائفة صالحة من منتخبات الشعر العالي .

مبادئه

موظف عادل حريص عَلَى مصالح الحكومة والشعب معاً

وهو عمراني مصلح ، صادق القول والعمل . ، له أياد بيض في النهضات الاجتماعية ، فقد فتح في مدينة جرابلس التي

يشغل وظيفة القائمقامية فيها عدة شوارع منتظمة التنسيق بخطط على الفن الحديث ، غرست في جوانبها اشجار دائمة الاخضرار وشقت المجاري واسيل الماء الزلال للشرب بانابيب تحت اقنية عميقة . وبنى مستشفى مجانياً ، والآن يعدُّ مشروع الانارة بالكهرباء يساعده في ذلك رئيس البلدية الوجيه ادور بك التبكي ..

رضا باشا الركابي

صفاته وخواصه

ربعة بين الرجال ، بعيد ما بين المنكبين ، متين الايمان بما يدين به من عقائد وآراء ، شديد الوطأة على مرؤوسيه ، يعشق النظام لذلك فهو لا يتسامح في الاخطاء كبيرة كانت او صغيرة ، فمن هذه الناحية جندي بكل مافي الكلمة من معنى

اثره في القضية السورية

لما عاد فيصل من باريس للمرة الاخيرة وكان قد عقد مع كليمنصو معاهدته المعروفة استقبلته حكومة بيروت استقبالا رسميا واوفد الجنرال غورو من يمثله في حفلة الاستقبال ، إلا أن فيصلا زار القنصل الانكليزي ولم يزر الجنرال غورو رغم أن المعاهدة بينه وبين فرنسا كانت موضوعة و«البرتوكول» يقضي عليه بزيارة المفوض السامي لحكومة الانتداب

وصل فيصل الى دمشق ، وغمره حماس الشعب الهائج يستطلع مصير البلاد فخشي الامير وقتئذ اعلان المعاهدة ومصارحة الشعب بها لعلمه ان الاستقلاليين يعارضون فيها اشد المعارضة

وطلب منه الاستقلاليون اعلان ملكيته وكان هو يميل الى اعلانها ، فاستشار في ذلك دولة الركابي باشا فاشار عليه بالتريث وعدم استعجال الأمور الى أن تنجلي المواقف الدولية من القضية السورية . وكان الانكليز في ذلك الحين قد نفضوا ايديهم من الامير وباعوه بثلاثين من الفضة متخلين عنه وهو اشد ما يكون حاجة الى مساعدتهم وارشادهم ، ومما يؤثر عن الركابي باشا قوله للامير اذا كنت على اتفاق تام مع الفرنسيين فلا بأس بأن تعلن الملكية . فقال فيصل إنه على اتفاق تام معهم . واعلن الملكية .

وكانت في تلك الاثناء فرقة من الجيش العربي مرابطة في مجدل عنجر . وكان الاتراك يهاجمون الحدود السورية وكيليكيا فارسل الجنرال غورو الى فيصل يطلب منه الموافقة على تسيير الجيوش الفرنسية بالسكة الحديدية لصد الاتراك فعرض فيصل الامر على رجال المجلس التمثيلي فاشاروا عليه خصوصاً الاستقلاليين منهم بعدم اجابة طلب الجنرال . أما الركابي باشا فعارضهم في ذلك بل ارتأى سوق فرقة من الجيش العربي للاشتراك مع الفرنسيين في الدفاع عن الحدود فالبلاد بلادهم قبل أن تكون للفرنسيين . وفي هذه ايضاً كانت الغلبة لرأي الاستقلاليين فجاراهم فيصل وكان ذلك

مما اثار حفيظة الجنرال غورو فأرسل على الأثر إنذاره المعروف فيما يختص بالجنود المرابطة في مجدل عنجر . فانسحبت هذه الفرقة الى ميسلون .

وفي تلك الظروف الحرجة أعلن فيصل ملكيته وبويع له في بهو البلدية . واراد الملك أن يستعرض قوى جيشه ليعلم الى أي مدى تستطيع الحكومة العربية مقاومة الفرنسيين ، فانبرى المغفور له يوسف بك العظمة وقال : إن لدى الحكومة اثني عشر مدفعا وان باستطاعته وهو يملك هذه المعدات الحربية ان يصد الفرنسيين فيرتدون على اعقابهم ويقذف بهم الى البحر

ثم تقدم الامير عادل ارسلان وتعهد بتهيئة مئة الف مقاتل خلال عشرة ايام وتعهد الشيخ كامل القصاب بتجنيد مئة الف مقاتل وبتقديم نصف مليون ليرة في عشرة ايام ايضاً .

أما الركابي باشا فقد ظل محتفظاً بموقفه وأصر على أن هذه التدابير فاسدة مضيرة وعارضها بكل قواه وقد جاءت الحوادث مصداقة لما كان يتوقعه من الكوارث وسوء المصير

ومما يجب أن نعتبر به أن المرحوم علاء الدين الدوربي رئيس الحكومة العربية كان قبل خروج فيصل من دمشق وخلعه يكرر على مسامعه قوله : أنت ملكنا حيث كنت ونحن جنودك حيث كنا ، وما أن غادر فيصل دمشق عن طريق حوران حتى أرسل

علاء الدين بك برقية إلى متصرف درعا يأمره فيها بابعاد الملك الشريد خارج الحدود حال وصوله

رأيه في الاستقلاليين

يرى دولته أن الاستقلاليين أصل البلاء الذي نزل بالوطن السوري ، وأن سياستهم خرقاء وآراءهم هدامة فكان منها العامل الاكبر في تأخر البلاد والحؤول دون تقدمها وازدهارها ونيلها حريتها ؛ فقد تقدم الاستقلاليون ـ دونما سبب ـ من الدولة المنتدبة بالاساءة اليها ثم الى البلاد ثم الى انفسهم

بل هو يعتقد ان ما اقتطع من جسم الوطن السوري وألحق بتركيا هو إحدى نتائج تصلف الاستقلاليين وسوء إدارتهم .

حياته السياسية

بعد أن أكمل الركابي باشا دروسه الابتدائية والثانوية تخرج من المدرسة الحربية في الاستانة برتبة رئيس أركان حرب وتدرج في الرتب العسكرية حتى حاز رتبة فريق . وفي عام ١٨٩٥ عين قائداً لفلسطين ، ومنذ ذلك اليوم دخل المعترك الاداري والسياسي وتولى في هذه الفترة ادارة اللواء المستقلة

ومن هذا المنصب انتقل الى رئاسة اركان حرب فرقة عكا . ومنها الى دائرة أركان الحربية العامة في الاستانه . ومنها

عين محافظا للمدينة المنورة ثم قائداً لفيلق العراق ومفتشاً لجيشه ثم انتقل الى ولاية البصرة فالى ولاية حلب لتشكيل فيلقها العسكري .

ولما أعلنت الحرب العامة اعترض دولته رسميا عَلَى دخول الدولة العثمانية في الحرب بجانب المانيا فاحيل على التقاعد . وفي السنة الثانية للحرب عين رئيساً لبلدية دمشق ثم خرج منها بعد سنة لتبدل قانون تعيين الرؤساء يومئذ .

ولما هبطت كفة الالمان وحلفائهم في الحرب عين لقيادة جبهة طبريا فظل حتى انتهت الحرب .

وعندما احتل الحلفاء سورية عين حاكما عسكريا عاما للمنطقة الشرقية في بلاد العدو المحتلة . ولما اعلنت ملكية الامير فيصل على سورية شكل دولته اول وزارة سورية وتركها بعد شهرين .

وفي اوائل ١٩٢٢ عين رئيسا لحكومة شرقي الأردن وبقي فيها سنة ونيفاً أبحر في اواخرها مع سمو الامير عبد الله الى لندن ثم عاد الامير وبقي دولته يذاكر وزارة المستعمرات في تعيين الشكل النهائي لحكومة الشرق العربي فتوفق في الحصول على مصادقة تلك الوزارة على استقلال المنطقة استقلالا نيابياً . وعلى ان لا يشملها تصريح بلفور المشؤوم . وعلى

ترك الحق للحكومة المحلية في رفض او قبول امتياز « روتمبرغ » .

ثم نشأ بين سمو الامير وبين دولته خلاف بشأن هذه الاتفاقية ادّى الى تركه رئاسة الحكومة الاردنية

وفي اوائل عام ١٩٢٤ دعي دولته مرة ثانية لتسلم زمام الاحكام في الشرق العربي فعاد وقد ظل في منصبه حتى منتصف حزيران عام ١٩٢٦ ثم استقال وذهب الى فلسطين فاقام فيها نحو سنتين ونصف السنة بسبب عوامل سياسية . وبعد زوالها عاد الى دمشق في اواخر ١٩٢٨ وما زال فيها حتى اليوم .

الاستاذ زكي بك الخطيب

صفاته وخواصه

ربعة بين الرجال ، ابيض اللون ، مستدير الوجه ، لا تفارق البسمة العذبة فمه اللطيف ، ملتفّ الأعضاء يحمل « نظارة » زجاجية على أنفه الدقيق العادي طوى الاربعين ربيعاً ونيف فما طلع عليه الجديدان فيها إلا طلع هو بجديدين من حب واخلاص على الوطن والانسانية . محام بارع يدافع عن المظلوم أمام المحاكم النظامية كما يدافع



عن حقوق البلاد أمام الرأي العام الاوروبي . ومن خواصه انه شديد الحذر كثير الشك في بعض اخوانه ، خطيب مفوه يتكلم في أي موضوع يشاء ومتى يشاء . فيقع منه على المحز ويصيب الالباب . سليل بيت علم قديم الفضل في دمشق الشام . اذا تحدث اليك في المجالس الخاصة . لمست به ذوق الشوام

القدماء . فهو كالنعامة الوديعة وطبعه كالماء صفاء ورقة وكالحرير نعومة وليناً . ولكن الحذر كل الحذر متى أُغضب لكرامة قومية ومصلحة عامة . فسرعان ما تنقلب تلك النعامة أسداً هائجاً ، وذاك الماء سيلا جارفا ، وذلك الحرير حديداً قاسياً .

اونر السياسي

وقف على قمة الجبل الاشم وطنية فاقتعد منه مقاما رفيعا عزيزاً . وعصفت به الرياح نكباء فما هزهزت جانب الجبابرة الى أكثر من سجن عميق ، وأبعد من منفى سحيق . بل كان كلما زادت عليه الشدائد كيداً وتنكيلا ، زاد بقدرها صلابة وجلداً . وثبت للساعة الأخيرة بالميدان كما بدأ في الساعة الاولى كفاحا ونضالا .

موقفه من الناس

يلوح لي أن جفوة ضعيفة في صدر الاستاذ الخطيب على العاملين في الحقل الوطني كما أن هؤلاء يحفظون له مثلها في صدورهم . ولعلّ هذا العامل والباعث عليه أن الاستاذ لايجري في تيار العواطف والاهواء مهما يلذّ الامر ويجد الحال في مواضع العقل والارادة . فيرى من الغضاضة ان يتنزل الى رأي وينساق على عمل بدون قناعة صادقة ومنطق رجيح .

رأيه في الاقتصاد

يرى الاستاذ الخطيب أن فكرة إنشاء المشاريع الاقتصادية انما يراد بها تخفيف وقع الصدمات التي منيت بها البلاد وتحويل الرأي العام السوري عن الاشتغال في الشؤون السياسية . وهذه قاعدة مطردة في الخطط الديبلوماسية فالمفوض السامي الحاضر هو من رجال المسلك المذكور . وقد كان سفيراً لامته في الشرق الاقصى فلم يشذ عن هذه القاعدة .

رايه في الموقف السياسي الحاضر ؟

يرى أن تأجيل حل القضية السياسية بوسيلة الاشتغال بالأمور الاقتصادية هو في الحقيقة من نوع تخفيف الوطأة لاعلان الامة العربية في هذا القطر قطعَ الابحاث التي كانت بدأت بين الجانبين السوري والفرنسي .

ويعتقد أن هذا القطع لم يكن لا في مصلحة الامة الفرنسية ولا في مصلحة الأمة السورية ويستغفر الله من أن يدين بوجود قومية سورية وانما يعني الامة العربية في هذا القطر .

ومن المعلوم ان املاء نصّ المعاهدة بالشكل الذي لا يتفق والغاية المقصودة من عقد المعاهدة ، لا يدل على أن المقصود منه اجراء تعاقد مستند الى محض ارادة الطرفين بحرية تامة

لا يشوبها الأكراه المادي أو المعنوي ٠

ولما ان سمع المفوض السامي صدى ما كان يكرره الوطنيون منذ اربعة عشر عاما من شروط التعاقد مع الفرنسيين كرر امثولة وقف الحياة الدستورية التي سبقه اليها سلفه المسيو بونسو وهنا تعطلت مصلحة الفرنسي من الوجهتين المعنوية والمادية وكان موقفه اقل حنكة ومضاء وجرأة من موقف البريطانيين في العراق ٠ رغم ما نعتقده من غمط صريح في حقوق العرب في العراق بالنسبة لاهداف العراق الاصلية وحقوقه الطبيعية٠

الا ان البريطانيين كانوا على كل حال اسخي في الاعتراف بحقوق البلاد من الفرنسيين واسرع الى قبول الحلول اذا قايسنا ما جرى في العراق مع ما جرى هنا بالرغم من أن سورية لم تكن أقل من العراق مدنية وعلما إن لم تكن اسبق منه فيهما ٠

اما نحن فقد تأخر حل قضيتنا وبقي الموقف كما هو بل شراً مما كان عليه من قبل وما زلنا نتدرج من سيء الى اسوأ من الوجهات العلمية والأدبية والاقتصادية والسياسية وان تبعة هذا كله على من تولى شؤوننا بدون موافقتنا وجرّدنا من جميع وسائل الدفاع عن كياننا القومي والسياسي والعسكري ليقوم هو مقامنا في حراسة حقوقنا فنمها عنا وتأخرت مصالحنا

ومصالحه سواء بسواء . وإني أعتقد يقيناً أن لو تمت الحلول بشكل عادل لكانت الصلات الاقتصادية وحدها عوّضت على المكلف الفرنسي ما يأمل أن يغنمه من معاهدة جائرة كالمعاهدة التي عرضت علينا أضعافاً مضاعفة .

وعليه فالموقف الحاضر ليس موقفاً طبيعياً وسيرجع الفرنسيون عنه عاجلاً وآجلا وأما نحن فليس طبيعياً ايضا أن نقف امتنا العربية أزاء موقف كهذا موقف « المتفرج » وانها ستواصل جهودها المشروعة لكي تطلع العالم المتمدن والرأي الفرنسي العام على ما نزل وينزل بها من اضرار بسبب الخطة التي اتبعت حتى الآن في هذا القسم من الوطن العربي .

رأيه في المواقف السلبية والايجابية

يرى انه من الواجب الوطني ان تكون مواقفنا سلبية تجاه كل حل جائر ، وايجابية تجاه كل حل عادل .

اما الرضاء بايجابية مهينة لقومنا فشأننا الاعراض عنها ولن يكون ثمنها نيابة او وزارة او مصلحة خاصة فالمصلحة العامة يجب أن تتقدم كل مصلحة .

فليس من مصلحة البلاد أن نسجل على أنفسنا ونقيد احفادنا بعهود وقيود تحول دون وصولنا الى استقلالنا وتجعل

بلادنا من البلاد المحمية والمستملكة لاي دولة أجنبية كانت ، فبهذا المعنى نحن سلبيون ٠

ولكنه يعتقد ان ما من امة تعيش منفردة عن سائر الامم وان صلات البشر الدائمة في هذا العصر تحتم وجود عهود وعقود تحترم فيها الحقوق والمصالح المتقابلة ونحن أحوج الامم لصداقة امة كالأمة الفرنسية ٠

لكن هذا يجب ان تكون حدوده الصداقة والاحترام ٠ لا الحكم والسيطرة ٠

مراحل القضية السورية

ربما لحظ اكثر أصدقاء الاستاذ الخطيب انه غير مؤمن بوطن سوري او قضية سورية ولا يدين الا بوطن عربي وقضية عربية ٠ ومع ذلك فقد شاءت الدول القوية تمزيق بلاد العرب فخلقت دولا عربية كثيرة وشاءت ارادة فرنسا فخلقت من القطر الشامي دويلات لا حول لها ولا طول ، فبهذا المعنى اوجد الغربي قضية سورية فهذه القضية جزء لا يتجزأ من القضية العربية الكبرى الا أنه اذا نظرنا الى القضية العربية في البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسي نظرة خاصة بالنسبة الى موقف القوي المسيطر على مرافقنا نجد أن هذه القضية تدرجت في المراحل الآتية :

الأولى : مرحلة الوعود من الغربي قبل انتهاء الحرب العامة

وقد ثبت أن هذه الوعود لم تنجز ولم تعامل أمـة كانت صديقة الحلفاء في الحرب العالمية معاملتنا والسبب في ذلك اننا اعتمدنا على الوعود وحدها ولم نوثق حقوقنا بالقوى الكافية ولم نستعد للطوارئ ٠

والثانية : — مرحلة الاتفاقات الدولية وقد كان مُهد لها أثناء الحرب الكبرى وانتهت باتفاقات كانت نتيجتها التواطوء علينا وفرض الانتدابات على بلادنا ٠

والمرحلة الثالثة : — هي وليدة الثورات العديدة التي نشبت في جهات شتى وبتواريخ متتابعة في الداخل والساحل والشمال والجنوب من هذا القطر وخاصة الثورة السورية ، وهي أجلى مظهر لبيان الاستياء من الانتداب وقد انتهى الامر بان اعلن ممثلو فرنسا رغبة الفرنسيين في « السلم لمن يريد السلم والحرب لمن يريد الحرب » وكان ما كان من اعلان برنامج الوطنيين الذي اقره المسيو دي جوفنيل ٠ ويلي هذه المرحلة مرحلة المفاوضات والحياة الدستورية وايجاد الجمعية المؤسسة ٠

وفي هذه المرحلة كان الوطنيون علَى صلات مستمرة مع السلطة الفرنسية التي وقفت على أكثر مواد الدستور وما ان كادت الجمعية المؤسسة تنتهي من عملها التأسيسي حتى

ظهرت النيات وبدت النواجذ ورجع الفرنسيون عن سياسة أقروها .

وانتهت هذه الدورة بسد أبواب الجمعية المؤسسة واتى بعد ذلك دور اعتقد أنه كان أشد الأدوار خطراً علينا فقد كانت الخطة فيه خطة استجرار الوطنيين الى سياسة لا تتفق مع مراميهم وقد كادت تنجح هذه الخطة الخطرة لولا انتباه هذه الأمة .

وهذه المرحلة انتهت بذهاب المفوض السابق المسيو بونسو وخروج الوطنيين من ايجابية لا يؤسف عليها .

وقد انتهى أشد الأدوار خطراً بقدوم المفوض السامي الجديد لانتهاجه سياسة صريحة .

وصاحب الرأي يحترم الصراحة . لاسيما في الرجالات السياسيين ولا يجد فيها اعظم الخطوب ولو كانت رفضاً لمطالب البلاد فالرفض في نظره اقل خطراً وضرراً من الخصومة الناعمة المطلية بما يحلو للنفوس ويضعف العقائد ويستجر العاملين استجراراً ضاراً بمصلحة البلاد .

رأيه في الفرص

يعتقد أن الفرنسيين لم يمنوا علينا مرة من الزمن بعطاء لنقول إن هنالك فرصاً ضاعت على البلاد ، وكل ما سمي بهذا الاسم كان

يقصد منه إنقاص حق من الحقوق .

فالجانب الاخر الذي لا يريد أن يعطي يسمي رفضنا للاستعباد وسخطنا على الانتداب اضاعةً للفرص .

رأيه في المعاهدة

ولا شك أن الأستاذ يستطرد كلامه بأن القاعدة الاجتماعية تقضي على المرء بأن يختار أخف الضررين وأهون الشرين . فمعاهدة ضارة كالتي عرضت علينا شر من التأخير لانها قيد في عنق البلاد لا سبيل للتخلص منه بعد الرضاء به .

لا بل إن الوضع الحاضر غير المستقر أقل ويلا من معاهدة بالشكل الذي عرضت على المجلس النيابي الاخير وعطل بسبب رفضه إياها .

رأيه في الانتداب

كلمة ابتكرتها السياسة حديثاً لفرض سلطان الاقوياء على الضعفاء . وهو بمعناه الوضعي يدلّ على الوكالة . ولكنها في الحقيقة وكالة بلا موكل . وعقد وحيد الطرف لا يقيد الضعيف إذا جرى تحكيم الحق والانصاف وهو مناف للحق العام ولحقوق الامم الطبيعية والحقوق الدولية . ولا يعطيه معنى العقد المشروعي إلا ما ترونه من جنود وقلاع وقوى جهنمية مسلطة على الحق في هذا العصر المادي .

رابعاً في الاستقلال التام

إذا جاز للسرب والبلغار والالبان واليونان وايران والأفغان والدويلات الاخرى من شرقية وغربية أن تستقل استقلالا تاما يوم كانت أقل منا حضارة وتمدنا فانه يتحتم على الاقوياء أن يعترفوا بصلاحنا للاستقلال ·

ويعتقد أن فقدان الاستقلال التام يؤخر الامم ويذهب بالفضائل القومية والاخلاقية وأن الاستقلال ينمي الفضيلة ويخدم المدنية ويزيد في السعادة الانسانية ، فمن العار على امة ان تتساءل هل تصلح للاستقلال التام ، فالريب في صلاحها الاستقلال دليل ضعف النفوس وخور العزائم وشلل الضمائر · فعلى كل امة ان تسعى لاستقلالها التام وان تصل اليه مهما يكن الثمن غاليا ، والامم التي لا تصلح للاستقلال لا نصيب لها في الحياة ولا حق لها فيها ، وان كل امة كتب عليها ان تكون عالة على غيرها في استقلالها وبقائها ، فيجب ان لا تأمل بالتقدم والنجاح تحت ظل سواها وان مصيرها الموت الادبي والقومي والتأخر المستمر وفقدان مزايا الشرف والاباء والاخلاق الفاضلة تحت ضغط الامم الاخرى ، وما من امة فقدت استقلالها وحكمها الآخرون الا فقدت اخلاقها واستكانت للذل واستساغت

الاستعباد وغاب عليها المكر والاحتيال والنقمة على الانسانية والخيانة للامم والافراد ·

وان ضرر السيطرة الأجنبية عام شامل للامم الحاكمة والمحكومة على السواء

والخلاصة التي يرمي اليها الاستاذ بآرائه هي أن لا مناص لنا من أحد امرين : اما ان نحيى مستقلين كراما · او ان نموت ميتة الكرام ، ولا وسط بين المنزلتين ·

سعيد بك المحاسني

خواصه

علم من أعلام سورية ونابغة من نوابغ علماء الحقوق فيها وركن من أركان معهد الحقوق العربي بدمشق وهو خريج المعهد الحقوقي في الاستانة عام ١٣٢٧ رومية



حياته العملية

عين حال خروجه من المعهد الحقوقي في الاستانة مدعياً عاماً في قضاء صيدا ثم عضواً في محكمة بداية حماة فبرهن على حنكة ونبوغ نادرين . وبعد أن مضى على وجوده فيها عام فأكثر عرضت على المحكمة قضية مجلة « جادة الرشاد » التي كانت تصدر في حمص فخالف الاستاذ المحاسني رأي زملائه القائل بتقرير عدم مسؤولية صاحبها وكان ذلك باعثاً على نقله الى لواء دير الزور ، فاستقال وعاد الى دمشق حيث تعاطى مهنة المحاماة منذ سنة ١٩١٤ ميلادية

ومكتبه محجة أصحاب المصالح بل هو أشهر مكاتب المحاماة في دمشق ، لما عرف به الاستاذ من سعة الاطلاع والاحاطة بشوارد القانون ، وله فوق ذلك اجتهادات خاصة لها مكانتها من الاعتبار والتقدير في تفسير القوانين

واثناء وجوده في الاستانة كان عضواً بارزاً في المنتدى الادبي وكاتم اسرار لجمعية الاخاء العربي ، فمن الطبيعي أن يشتغل بالسياسة ، وقد استأنف عمله فيها بعد عام ١٩٢٦ وعين وزيراً للداخلية في عهد الحكومة التاجية الأولى واشتغل في القضية السورية وعالجها عن غير الطريق الذي ينهجه بعض قادة القضية الوطنية . فهو لا يرضى بالاستسلام ولا يقول بالتطرف ويدلل على نظريته بالحجة الدامغة والبرهان المعقول وبمقايسة الظروف والمناسبات بعلمه الواسع وعقله الراجح .

رأيه في القضية السورية

يرى أن مواضع الخطأ في تصرفات العاملين في القضية أكثر من مواضع الصواب فيها ولا يرتقب عملا صالحاً عن يد أكثر المشتغلين بالشؤون السورية في البلاد لايمانه القوي بعدم كفاءة هذه الفئة للقيام بهذا العمل ، ولانه يجزم بان معظم القائمين بهذا الأمر لا يملكون الجرأة الادبية التي

تكفل لهم القيام بالعمل السياسي عن عقيدة وإخلاص ونراهم يفضلون الشهرة الفارغة والزعامة الجوفاء على العمل الجدي فاذا ما قاموا بعمل واصطدموا بالرأي العام رجعوا القهقرى وجاروه ولو علَى خطأ ٠

رأيه في الوحدة

وهو من المطالبين باعادة الاقضية الاربعة ولواء طرابلس الشام وصيدا مع جبل الدروز ومنطقة العلويين ويرفض الوحدة مع جبل لبنان ما دام الانتداب الفرنسي قائماً في البلاد ٠ بل يرى أن الوحدة التامة مع لبنان تؤدي إلى استيلاء اللبنانيين علَى مرافق المنطقة الداخلية برمتها لانهم اقرب الى الفرنسيين من السوريين ٠ فالوحدة مع لبنان ـ اذا تمت ـ تجعل سورية تحت انتدابين بدلاً من واحد ٠

رأيه في المعاهدة

اما فيما يتعلق بالمعاهدة فهو يفضل الانتداب عليها مادام الجانب السوري لا يملك من الأمر ما يملكه الجانب الفرنسي وهو الى ذلك لا يرى اية فائدة ترجى للبلاد من معاهدة لا يعقدها الندُّ مع الند٠

شفيق بك جبري

لا أذكر أني سألت الله خيراً طول حياتي فاستجاب لي وأنعم علي به ثم قلت : آمين آمين ، سوى مرة واحدة — فقط لا غير — فقد تمنيت ان يخرج الاستاذ شفيق بك جبري من وظيفته في الحكومة ، فكان ما تمنيت — واعتقد لو كان متمناي خيراً وصلاحا لما استجاب الله إلي — ولكن نصفه الواحد خير بالنسبة الي والنصف الثاني شر بالنسبة الى الاستاذ !

واعتقد أن خروج الاستاذ جبري من الوظيفة يضيف الى عالم الادب والعرفان قوة جديدة مثقفة . والى الوطن عنصراً قوياً جريئاً !...

فقد عدمت الشام اي ندوة ادبية فيها ، وتعطلت دار الندامى في المدينة . الا حلقة « نواسية » ما زالت تجتمع الى زعيمها الاستاذ جبري برغم السياسة الخانقة والازمة القاتلة فينُشد بمحضره احد الجلاس السيد فوزي امين مجدداً عهد المرحوم ابي نواس ، قائلا :

ودار ندامى عطلوها وادلجوا — لهم اثر فيها جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق عَلَى الثرى — واضغاث ريحان جنيٌّ ويابس

حبست بها صحبي فجددت عهدهم وإني على امثال تلك لحابس
اقمت بها يوما ويومين بعده ويوم له يوم الترحل خامس
تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها مهى تدّريها بالقسي الفوارس
فللماء ما درّت عليه جيوبها وللراح ما دارت عليه القلانس

على ان مجلس الاستاذ إن خلا من فائدة اجتماعية فهيهات ان يخلو من فائدة علمية ادبية ! وليس جليسه الا كتاجر العطر ، ان فاته ربحه لم يفته ريحه !

وفي هذا المقال بعض آرائه في السياسة والاجتماع والادب اخذتها عنه في جملة احاديث له ونقلتها الى القراء بعد وصف طبائعه وذكر خواصه :

صفاته

وقف بين سلخ العقدين الثالث والرابع . حنطي اللون مستطيل الوجه ، واسع الجبين ، واسع الصدر ، ضيق الفم ، طويل القامة ، في نفسه انكماش عن الناس وانقباض وخيلاء وكبرياء ، وطالما ارتاح الى مجالسة الصعاليك والتحدث اليهم فالتفّت حوله نخبة منهم : عمر الطيبي ، واليازجي ، وابو زهير ، وفوزي امين ، والافيوني ، ومنشئ الكتاب ، ففضلهم على مجلس الوزراء واعيان البلد . وكم مرة قرع باب بيته بعد عودته من الحجاز

ولكنه ما فتح لواحد من الزائرين المسلّمين غليه . واي شاهد اصدق من ابيات له تصور نفسه وعزلته عن العالم :

تجافت عن الدهماء لم تحتفل بهم
ترى عبسهم بشراً وبشرهم عبسا

فما الفت بالليل بارقة الدجى
ولا هي ناغت في رفيف الضحى الشمسا

ومالي وما للناس ابغي وصالهم
فما وصلهم نعمى ولا هجرهم بؤسا

خواصه

ظاهره لا يدل على باطن ، في ظاهره وحشة من العالم ، ولكن الذي يتصل بهذا الظاهر يجد انساً بدلا من الوحشة ، اما هذا الاستئناس بالناس فلا يظهر فيه إلا لخاصة أصدقائه ، فاذا لم يكن بينه وبين جليسه صداقة خاصة حكم على ظاهره حكماً قد يكون جائراً : ظاهره جدّ ؛ كله جد . ولكنه في مجالسه الخاصة يمزج هذا الجد بالهزل . ولولا هذا الانقباض الذي يلوح على وجهه لا تصل به كثير من الناس .

في خلقه صلابة . ولو بدلت هذه الصلابة بالمرونة لما خرج من منصبه . وما رأيت رجلاً خرج من منصبه غير آسف عليه الا هو فكأنه كان مقيداً وأفلت من هذا القيد!

رايه السياسي

يرى من لزوميات السياسة أن يخدمها الادب ، فكلاهما متصلان لا ينفصلان ، لان الاديب في رأيه قد أوتي قوة الاقناع فان استخدم هذه القوة في السياسة نتجت عنها فوائد عظيمة ، فالصحافي مثلا ينبغي له أن يكون اديبًا وأن يرفع مستوى العامة الى أُفق الأدب لا أن ينزل بأفق الأدب الى مستوى العامة . ولا يميل الى المهاترات في الخصومات السياسية بل يجب أن يلجأ الكاتب الى التهكم لانه اقتل للخصم .

سياسته

سياسته واضحة لم تكتمها حتى وظيفته التي كان فيها . فقد اشترك ، منذ كان في منصبه الى أن خرج منه ، في الحفلات الوطنية بشعره ، فما منعته الوظيفة من الإعراب عن عواطفه الوطنية .

واليك ابيات تصور تغنيه بوحدة العرب قال :

سبقتنا بغداد في عزة الملك ... وبتنا على هوى صولجانه
فمتى تسكب العيون علَى الشام ... دموع السرور في مهرجانه
فترى الشرق في التفاف هواه ... من ربى جلق الى بغدانه
وحدة في الشعور هيهات ما ... يطوي سداها الزمان في دورانه

سفرة الى اوروبة

زار الاستاذ في سفرته الى اوروبة شعوباً لاتينية وشعوباً سكسونية ولكنه يعجب بالعنصر السكسوني ، ولو لم تكن ثقافته لاتينية لحكمنا عليه بانها سكسونية نظراً الى تشابه اخلاقه واخلاق الانكليز فهو منفرد بالرأي ، مستقل بالطبع ، شديد الثقة بنفسه قليل السؤال عن غيره .

ظاهره يدل على شاعريته

من غرائب المصادفات أن أمير الشعراء احمد شوقي بك في زيارته الاولى دمشق نزل في (اوتيل خوام) وقد احبّ الاستاذ جبري ان يراه من بعيد ليعرف هيأته فجاء (الاوتيل) وانتظر خروجه على مقعد في باب (الاوتيل) ، وكان مظهر بك البكري الى جانب أمير الشعراء فلما خرجا وقربا منه خطوات قال شوقي لمظهر : هذا شاعر ؟ ! وكان لا يعرف الاستاذ قبل هذه النظرة ولم يره قط . . فأجابه مظهر بك : نعم ، هذا شفيق بك جبري ، وقد أعدّ لك قصيدة للاحتفال في المجمع العلمي !

رحلته الى جزيرة العرب

قد تبين لنا من أحاديث الأستاذ الخاصة بعد رجوعه من الجزيرة أن سورية جزء لا ينفصل عن جزيرة العرب ، فكل

أضاحيها الماضية ذهبت عبثاً ، فينبغي لها بعد اليوم أن تلتفت إلى الصحراء ، لأن الصحراء في القديم هي التي أنشأت دمشق وبغداد ، والصحراء في هذه الأيام هي التي ستنقذ دمشق وبغداد ، فالجزيرة « فبركة » جيوش ، فبعيد جداً أن تنشأ فيها حضارة لان مقاومة الطبيعة القاسية أمر صعب ولكنها قوة تستخدم في إنشاء الحضارات من وراء الصحراء . إلا أن هذه القوة لا يمكن الانتفاع بها إلا إذا كانت كالبنيان المرصوص ، فالعراق يجب عليه أن يعطف على نجد ، ونجد يجب عليه أن يحنو على العراق ، وربما كان في تعاطف هاتين المملكتين تأثير عظيم في اخراج سوريه وفلسطين من المأزق الحرج وإنقاذهما .

نظره في اوروبه

لم يجد الاستاذ شيئاً في اوربه يستلفت نظره اكثر من هذه الصفة القومية التي يراها في فرنسة وفي ايطالية وفي انكلترة ، فهي ظاهرة خاصة في متاحف هذه البلاد ، فاوروبه متصلة بماضيها لا تريد الاستغناء عن هذا الماضي ، وهي تعلم أن صلتها بالماضي هي التي تحفظ لها استقلالها ، فالشعوب التي تنقطع عن ماضيها لا حاضر لها ولا مستقبل . ولذلك يرى أن سورية يجب عليها الرجوع إلى ماضيها ، وهي من هذه الناحية

قليلة الصلة بالماضي تلبس لكل حال لبوسها ، وهذا ما أضعفها وجعل للفاتحين طمعاً فيها .

رأيه في الشعر

يرى الاستاذ جبري أن الشعر قوة إلهية فلا يريد أن يضيع الشعراء هذه القوة ، فبدلاً من أن يستخدموها في أمور ثانوية فهو يريد أن يستخدموها في غاية وطنية حتى اذا استقلت البلاد وانفردت بسلطانها فلا بأس بان ينصرفوا الى موضوعات شعرية بحتة ، أما الآن فالأدب كله في حالة مثل التي نعانيها ينبغي له أن يكون مصبوغا بصباغ قومي .

رأيه في الملكية والجمهورية

إن الاستاذ من هذه الناحية ملكي المبدأ ، لان الملكية في رأيه مصدر لتقوية الادب ، فالملكية تعطف على الادب فينمو في ظلالها ، اما الجمهورية فلا نشعر هذا الشعور .

شاكر نعمت الشعباني

صفاته وخواصه

نشأ معالي الشعباني بك من عائلة « ديموقراطية » في مدينة حلب ، وهو أبيض اللون مشرب حمرة شديدة . ربعة بين الرجال ، مستدير الوجه ، تخطى العقد الخامس ، واسع الاطلاع في العلوم العصرية وفنونها ، ولا سيما الحربية منها ، خطيب مفوّه سريع الخاطر قوي الحجة ، ومن خواصه انه يحب الذهب كثيراً ليذهبه في حياة الترف والجاه .

دخل المدارس العلمية العسكرية في الشهباء على درجاتها ثم تخرج منها ودخل تجهيز العسكرية في دمشق ثم انتقل الى المدرسة الحربية العالية في الاستانة وكان الاول في صفه في تلك المدارس كافة وبعد أن نشأ من المدرسة المذكورة برتبة ملازم ثان انتخب لمدرسة اركان حربية « الأكادمي دي كير » وبعد ان درس فيها ثلاث سنوات خرج منها برتبة رئيس أركان حرب ، ثم عين في قصر يلدز مرافقاً للسلطان عبد الحميد ومأموراً في غرفته العسكرية الخاصة حتى اعلان الدستور في

تركيا ، ثم عين مديراً في شعبة اركان الحربية العامة في الاستانة فرئيساً لاركان الحربية في فرقة « اضنه » التي اشترك معها في حرب البلقان ، ثم عين في جهة « شطالجة » اثناء الحرب المذكورة ، ثم انتقل الى فرقة ارضروم في الجبهة المذكورة ومنها الى وظيفة اركان الحربية في منزل الجيش ثم دخل ادرنة بعد استردادها من البلغار ثم عين الى جبهة الدردنيل في أواخر حرب البلقان ومنها لاركان الحربية في الجيش الخامس عشر في انقره ثم اعيد الى قطعة أركان الحربية في الاستانة وانتقل الى شعبة المواصلات فاصبح اختصاصياً في أمور السكك الحديدية فعين مفوضاً عسكرياً على الخطوط الحديدية الاوربية في أول الحرب العامة وظل فيها حتى إعلان المهادنة حيث استقال من تلك الوظيفة بعد دخول الحلفاء الى الاستانة . وقد وفد الى فرنسا عقب اعلان الدستور سنة ١٩١٠ مع وفد تركي لدرس أحوال فرنسا العسكرية فمكث فيها نحو شهرين مع الوفد درس خلالهما الشؤون العسكرية والحربية . وفي أثناء الحرب العامة اشترك في خمس مؤتمرات دولية ممثلة للقيادة العامة العسكرية التركية وللحكومة العثمانية نفسها — اي الباب العالي — وكذلك قام بتموين الجيش التركي بعد اعلان

النفير العام في البلاد البلغاربة ورومانيا والنمسا، فنجح في مهمته الشاقة أيما نجاح . وبعد تأسيس الحكومة العربية في سورية عاد الى وطنه الاصلي واقام في مدينته حلب مدة انصرف خلالها الى معالجة القضية الوطنية وعمل في الحقل السياسي من أجلها، فأسس جريدة عربية تحت اسم الوطن جعلها لسان حال الحزب الديموقراطي الوطني الذي كان هو رئيسه في حلب ثم انتسب للجيش العربي برتبة كولونيل اركان حرب قبل الاحتلال الفرنسي وبعده عاد الى الحقل السياسي فابعدته الحكومة الفرنسية عن سورية سنة ١٩٢٢ وبقي في منفاه حتى عام ١٩٢٥ ثم عاد الى بيروت فعين قائمقاماً لقضاء وادي العجم إبان الثورة السورية ثم انتخب نائباً عن حلب عام ٩٢٦ فاعلن الوحدة السورية بين حلب ودمشق عند التئام المجلس التمثيلي في حلب ثم عين وزيراً للمالية في حكومة الداماد الاولى وكان يقوم بالمفاوضات السياسية مع دي جوفنيل من قبل الداماد قبل تأليف الوزارة المذكورة .

وكان من العاملين مع الهيأة التي اقنعت المسيو جوفنيل بارسال وفد سوري الى جبل الدروز للتفاهم مع الثوار حقناً للدماء . وبعد خروجه من الوزارة عاد الى حلب فألف حزباً جديداً سماه الحزب الوطني السوري . وفي عام ٩٢٨ اسس جريدة الاهالي الحلبية التي لا تزال تصدر فيها . وفي عام ٩٣٢ فاز في

الانتخابات النيابية فانتخب مقرراً للجنة المالية في مجلس النواب ثم عين وزيراً للمالية عام ٩٣٣

ما عرفت رجلا اختلف فيه الناس كما اختلفوا في الشعباني بك وأعماله وحوادثه فقد ذهب فريق منهم الى انتقاد بعض أموره وما وقع منه أثناء الخطط السياسية خلال وزارته . الا ان ما يرمونه به ويعزونه اليه لا يتصل بعبقريته وما ينكرونه عليه لا يتعلق ببراعته في إدارة الوظائف وتسييرها وفاقا للاصول مع ميوله واغراضه مستهدفاً اياها بشتى الوسائل والاسباب .

وشخصية كشخصية الاستاذ الشعباني من الحق ان تشغل السوريين لانها تظهر على المسرح السياسي في كل مناسبة قومية فطالما غيرت مجرى الاوضاع العامة ومصاير النهضة الوطنية في البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسي . فمن الواجب أن تتناولها اقلام الكتاب بالاخذ والرد ، وان يشبعها المؤرخ بحثاً ووصفا وتفصيلا .

رأيه السياسي

يرى الاستاذ الشعباني أن العامل الفعال في تعقيد القضية السورية وعدم الوصول الى حل مرضٍ فيها ، انما هو ناشئ عن الخلاف القائم بين الجانبين : السوري والفرنسي ، لفقدان

الثقة التي يجب أن يتبادلها الفريقان معا . ويعتقد أنه لا يمكن لهذه المسألة ان تستقرّ بدون تأسيس تلك الثقة التي يبني عليها الوطن كياناً سياسياً معروفاً ويرفع فيه معالم العمران عالياً منيفاً .

التآمر الوطني

وهو يرى أن عوامل فقدان الثقة واسبابها كثيرة أهمها : موقف المؤتمر السوري من فرنسا والقرار الذي اتخذه ضدها قبيل وصول (لجنة كراين) للاستفتاء ومساعي السوريين في مخاصمة الانتداب ، وخطأ الاحزاب السورية المتوالي تجاه الفرنسيين . ويضيف إلى هذا أيضاً خطأ بعض رجال الانتداب في تجزئة البلاد الشامية وانصرافهم بعد دخول المنطقة السورية الى معاملة ابنائها معاملة لا تنطوي على روح التسامح والتفاهم مع الشعب السوري فيما تقدم منهم وفرط .

وسائل التفاهم

ليس بدعاً ان تظلّ المعضلة السورية في مكانها ، لا تتقدم خطوة واحدة ، وليس من سبيل لحلها ، الا بالتفاهم ، والتفاهم لا يتم الا بطريق التعاقد . والتعاقد يجب ان يكون مبنياً على اعتراف السوريين بحقوق فرنسا المشروعة من مصالح اقتصادية ومالية يقابله تسليم الفرنسيين واعترافهم بحقوق الامة السورية في مطالبها القومية .

والاستاذ الشعباني يرى أن هذا الاعتراف والتسليم لا يمكن أن يُنحا دفعة واحدة، بل لا بد من « سياسة المراحل » في هذا الحال : واذا قلنا سياسة المراحل فاننا نقصد بها السير على قاعدة « خذ وطالب » وكلما اجتازت سورية مرحلة من المراحل نحو الهدف القومي بجانب فرنسا يصار الى تنفيذ ما جرى التعاقد عليه في أول مرحلة فتزداد الثقة بين المتعاقدين . ثم تندفع فرنسا الى الاعتراف باشياء أخرى والى تحقيق أمانٍ جديدة يتطلبها السوريون قليلا قليلا .

لذلك فالشعباني بك يرى ان الموقف الحاضر يتطلب مرونة خالصة يتحتم بها على الاحزاب المتطرفة أن يظهروا فيها اللباقة والنضوج والكياسة ، وأن يتركوا سياسة « الشغب » ـ كذا ـ ضد فرنسا وان لا يطرقوا بابا غير بابها ولا يتذرعوا بدعاية مهما تكن نبيلة مما يسيء الظن بنيات الفرنسيين نحو الانتداب .

وغني عن البيان أنه من الواجب على فرنسا ترك سياسة الحذر والحيطة بل عليها أن تعمل في البلاد لتشييد صرح التفاهم عَلَى أسس الاعتراف بحقوقنا الحيوية الكافلة لها اكتساب قلوبنا وصداقتنا الجميلة لتجعل من سورية حليفة

عزيزة ، ومن شواطئ البحر المتوسط قواعد حربية لاسطولها ، ومن أراضيها جسراً تمر عليه باطمئنان فتبلغ منافعها في الشرق ، ونضع لمبادئها الحرة مثلاً حياً تكسب به عطف العرب ومحبتهم وعرفانهم صنيعها بوجه خاص ، وتستميل الشرق اليها كله بوجه عام .

شاكر بك الحنبلي

صفاته وخواصه

طويل نحيف القوام . دقّ جسماً . ورقّ طبعاً . شاحب اللون . قال في مثله الشاعر :

جسم تردد في مثل الخيال فلو أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

خطيب ساحر . يتكلم في أي موضوع يشاء متى يشاء ، وعالم اجتماعي وكاتب من أمراء البيان والصحافة ، تعرف الى هذا العالم فأحاط بسائر نواحيه الاخلاقية ثم قلب النظر في وجوه الدنيا وأحوالها فتبينت له صور الحياة باجلى مظهر منها ، وأتم تكوين على حد وصف الحكيم :

اذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق

فآثر العزلة عن الناس ، والابتعاد عنهم ، الا نفراً قليلاً منهم . كمعالي الاستاذ عبد القادر بك العظم مدير معهد الحقوق بدمشق . وصديقه الحميم عارف بك الخطيب المدير العام لاملاك الدولة .

وإن جهل الكثير منا فضل الاستاذ وقدره ، فذلك انه

يحلق في مطاره الفسيح العالي . فانى لهم ادراك نفسه في سدرة المنتهى والمدى البعيد الشاسع

اقتبس اخلاقه من الباب العالي ، فصار مثلا كريمًا في لين الجانب ولطف المعشر ، لمكوثه الطويل في الاستانة ، ودرسه في مكاتبها العالية

يسهر الليل غبًا . ولا يذوق النوم الا لمامًا في ساعة من النهار هادئة ، ناعم الحديث . فهيهات أن لزّ كلمة في غير موضعها المناسب . وما زحم حرفًا منها الا في مكانه ، تكلمًا و كتابة . بل اذا تحدث اليك تمنيت الزيادة . فكلامه من ذهب وسكوته من فضة . اذا سمعته خطيبا أشفقت علَى هذا الجسم الضعيف المزيل ، واعجبت لذلك اللسان الفصيح كيف يتدفق بالبلاغة والابداع فيجيء بالدليل القاطع والحجة المنطقية حتى تبدو لك القناعة ناصعة با كمل مشهد منها فتعظم عندك أيما إعظام . كأنما هو يقرأ في كتاب مفتوح لديه .

على أنه يلذُّ أحيانا من كثرة ما يعلم ، ومن كثرة ما يلزم ان يقول . فينطق بالقليل مما يعلم ، في حين ان سواه يتكلم بما لا يلزم مما لا يعلم !! ...

رأيه السياسي

يرى الاستاذ الحنبلي أن السياسة حليفة علم الاجتماع ،

فلا يمكن لها أن تنفرد عنه وتسير بدونه مستقلة في أية امة من الامم مهما يكن حالها . وكل سياسة تنشأ على هذا الوجه تكون سياسة عرجاء عليلة . لا تلبث ان تموت قبل بلوغ الرشد من عمرها القصير ؟ ...

فالاجتماع : هو الذي يهيئ عناصر الاستقلال للأقوام . وروح الاجتماع : هي الأدب والتاريخ والعلم والعرفان والدين والعادات . وجماع ما ذكر يساوي « الاخلاق والثقافة »

فمتى اعتصمت الامة بالاخلاق الشريفة وحرصت عليها الحرص الشديد ، مشت عَلَى سياسة رصينة رشيدة نحو الحرية في القول والعمل والفكر ، فمشى اليها الاستقلال التام والسيادة القومية من الجانب الآخر .

وسائل الاصلاح

ويرى معالي الاستاذ أن أول مرحلة من مراحل الاصلاح القومي يجب أن تكون وحدة التعليم في البلاد بدرجة العلم الصحيح العالي لانه الضامن الوحيد للاخلاق الصالحة والحارس الامين عليها من الفساد .

رأيه في القضية السورية

يرى الاستاذ أن القضية لا تحل الا في باريز ، وأن حلها يحتاج الى تنظيم صفوف الأمة وهذا التنظيم لا يتم الا اذا تنازل

محتكرو الوطنية عن كبريائهم وأثرتهم وأحسنوا الظن بمواطنيهم وتألف من الأمة كتلة واحدة تنتدب وفداً يمثلها في عاصمة الفرنسيين ليقوم بالدفاع عن قضيتها بوسائل الدعاية والنشر والاقناع بالأساليب الحكيمة الرشيدة . ويرى ان الانتقاد يجب توجيهه الى المنتدبين لا الى الحكومة الوطنية التي لا تملك من الأمر شيئاً ، وما دامت الحكومات تعين وتعزل بارادة اصحاب السلطان من المنتدبين فلا يمكن ان تكون الا مطية لتنفيذ مآربهم .

رأيه الاجتماعي

تبين فيما تقدم أن الاجتماع روح السياسة السائدة في كل قطر ومصر ؛ غير أن هذا العلم لا يقوم على قواعد ثابتة مستقرة .

ولما كان الإنسان ابن الاجتماع ، كان عرضةً للتبدُّل والتحوُّل النسبيّ الطارئ عليه حتماً بتأثير الإقليم والبيئة والتربية . وليس من الطبيعي أن يكون الإنسان غير ذلك إلا إذا كان جامداً متحجراً ، لا ينمو ولا يتحرك ، عديم اللذة والألم .

والمثل على ذاك أيها القارئ أنك لست من أمسك كما أنت اليوم ، ولا أنت من يومك كما تكون غداً ، ولا يمكن لك أن تظلّ أنت أنت ، جسداً ونفساً وعقلاً إلا اذا استطعت أن تدفع الموت ، وتوقف الشمس في مكانها ، و تمنع الأرض

عن الدوران حول الشمس ، فلا هما يجريان على محورٍ لهما ·
وليس لليل أن يلج النهار ولا للنهار أن يلج الليل !···

وكما أن يوم السبت من عام ١٩٣٥ يختلف عن مثله في العام ١٩٣٦ في طوله وقصره وحرّه وقرّه · فهكذا التغير يداخل جميع المخلوقات ويؤثر تأثيراً محسوساً في الكائنات فيشمل المبادئ والعادات ويطغو على سائر مرافق الحياة ·

فكلما تقدم الإنسان في النمو والتكامل تقدم أيضا الى الزوال والفناء ·

ومن الثابت أن النواميس الاجتماعية هي التي تكيف المصالح البشرية وتحدد علاقاتها وترابط بعضها بالبعض الآخر ، بأساليب متنوعة تفرض احترامها والتقيد بهـا اصطلاحاً بمواقيت عرفت بتقسيم الزمان والمكان بين الناس فالجبال تتزلزل وتتصدع ، والمياه تغيض وتغور وتفيض وتفور · والحيوان والجماد والنبات تلبس في كل حول لبوسا جديداً نسجته لها يد الطبيعة من صيف وشتاء وربيع وخريف

رأيه في الصحافة

يرى الاستاذ الجليل ان الصحافة عنوان اليقظة القومية ·
فمن اللازم ان تكون راقية بتمامها لا دخيل فيها ولا عليها ·
وخير لها ان تكون على مبادئ ملتوية في الاجتهاد

والعمل في الحقل الوطني السياسي من أن تكون صحافة جاهلة دجالة كما هو حال طائفة منها اليوم ، لأن الضرر من هذه الاخيرة يجيءُ عظيماً لا يطاق ، ما دامت الامة تنقاد اليها لاعتبار انها قائدة الرأي العام ، لكن مثلها في هذا المقام ، كمثل الجهل يقود العلم . وقالت العلماء : عدو عاقل خير من صديق جاهل

فمن أهم العوامل الداعية لتنشيط الصحافة الراقية اعدام الصحافة الداخلية الجاهلة ومحوها محواً اكيداً ليكون من جراء ذلك مصلحة للأدب وخدمة للوطن ونفع جزيل للانسانية !..

فالأدب لا يكون صافياً نقياً من الادران اذا عاش المتطفلون علَى موائده . والوطن لا ينهض الا برجال السياسة الاجتماعيين . والسياسة التي لا تستند الى العلم الصحيح مصيرها الفشل والخذلان !...

حياته الصحافية

تخرجَ من المكتب الملكي في الاستانة . يوم كان المتخرجون قليلا جداً . ولعله جاء في الرعيل الثاني اذا لم يكن في الاول منهم وظهرت عليه علائم النجابة ، فأُلحق في « المعية » وأبدى حماسا شديداً للاصلاح والعمل حتى ولي الاقضية .

ثم على أثر إعلان الدستور انشأ في الاستانة بالاشتراك مع المرحوم عبد الحميد الزهراوي جريدة «الحضارة» الدفاع عن

القضية العربية . وفي أثناء ذلك عين استاذاً للغة العربية في المكتب السلطاني ، ثم عين مديراً للمؤسسات العلمية في وزارة الاوقاف ثم متصرفاً في عكاء ثم في حماه .

ولما وضعت الحرب أوزارها عام ٩١٨ عينته الحكومة العربية رئيس ديوان الحاكم العام . وعهدت اليه برئاسة تحرير جريدة العاصمة الرسمية . وعلى أثر مقال افتتاحي كتب فيها تحت عنوان « استدع أحد الرجلين » احتج عليه مجلس المؤتمر السوري بداعي ان المقال يحط من كرامة المؤتمر . فاستقال من منصبه .

وبعد برهة عين متصرفاً للمركز ، ودخل الفرنسيون وهو على رأس هذا المنصب حتى الغي من وظائف الحكومة

حزب المعارضة

تأسس هذا الحزب الذي أطلق عليه أحد الظرفاء اسم حزب « الفول » لعلاقة أحد أعضائه بقضية اعشار الفول فاشتهر بهذا اللقب حتى تغلب على اسمه الأصلي وكان الاستاذ الحنبلي أحد أركانه ، شديد المعارضة ، كثير الاهتمام لاقالة حكومة حقي بك العظم الاولى ، ولكن الحزب لم يعمر طويلا .

ولما جرت الانتخابات للمجلس التمثيلي رشح نفسه للنيابة

وفاز بالانتخاب ، وانتخب نائب رئيس ، وكان بلبل هذا المجلس الصداح وله فيه مواقف مشرفة في الدفاع عن مصالح البلاد تجلت فيها العبقرية والنبوغ ·

مقدرته العلمية

ثم عين الاستاذ وزيراً للمعارف في حكومة الداماد ثم وزيراً للعدلية في وزارة الشيخ تاج الاولى ·

والاستاذ مؤلفات في علم الحقوق منها : الحقوق الادارية التي يدرسها في معهد الحقوق ، وكتاب أحكام الاوقاف ، والحقوق الاساسية ، وخلافها · وبالجملة إن الاستاذ الحنبلي يعدّ علماً من أعلام سورية البارزين ·

صبحي بك بركات

رأيه في القضية

يرى من الواجب على الحكومة الفرنسية ـ وقد مضى على انتدابها خمسة عشر عاماً ـ تقرير سياسة جلية واضحة .



ويقول إن سورية قد ملت سياسة التردد وتبدل المسائل وعدم الاستقرار على خطة معلومة . فالشعب السوري ينتظر نهجاً بيناً وبالاخص وضعاً سياسياً يرضي سورية ولبنان في آن واحد . لان القضية السياسية تزداد تعقداً بقدر ما تبقى دمشق وحمص وحماه وحلب بعيدة ومنفصلة عن البحر المتوسط وعن بقية البلاد الساحلية .

فلا بد إذن من فتح منفذ بحري للبلاد الداخلية اجابة لما

تتطلبه الحياة الاقتصادية . وليس أصلح وقتاً ومناسبة من السياسة الحديثة ـ سياسة البترول ـ

ويرى أن مدينة طرابلس هي المرفأ الوحيد الطبيعي لدمشق لاسيما وان هذا البلد الآن مركز الطيران التجاري ومصب انابيب البترول فيه .

رأيه في الوحدة

يرى أنه متى انحلت العقدة التي تقدم الكلام عنها تبقى مسألة تقريب سورية الداخلية من بقية الحكومات المشمولة بالانتداب وسيلة لتخفيف كثير من النفقات التي تتكبدها فرنسا في الشرق .

ويرى إعادة الاقضية الاربعة التي أُلحقت بلبنان لاعتبارات استثنائية في ظروف خاصة قد زالت الان فارجاعها اليوم الى أصلها يكون عاملا قوياً لتمكين دعائم الصداقة وتوطيد اركان الثقة بين البلدين ، ومن جهة اخرى يعيد الى لبنان تجانسه الذي فقده بوضعه ونظامه الحاليين . ويرى أن الاوضاع السياسية القائمة الان تكلف البلاد نفقات باهظة لا تقوى حالتها الاقتصادية على تحملها .

فيجب تحقيق برنامج اقتصادي يحافظ على مكانة البلاد سيما بعد ان قامت انكلترا بانشاء مرفأ حيفا لمزاحمة سورية وانتقل الحركة

التجارية الى فلسطين . وهذا أمر خطر جداً له نتائج سيئة على بلادنا . يتطلب السعي منا بكل قوة لمقاومته ولتوجيه الحركة التجارية نحو طرابلس وحمص خاصة فموقعنا الجغرافي اكبر مساعد لنا على ذلك .

ويعتقد بضرورة اصلاح إداري في العلويين وجبل الدروز يكون من شأنه ضم هاتين المنطقتين الى سورية على اساس اللامركزية : ثم يرى الاهتمام بتنفيذ المشروع الاقتصادي الذي لم يكن له من العناية لدى ممثلي فرنسة ما للشؤون السياسية التي جعلوها موضع عنايتهم . اذ أن سورية بلاد زراعية غنية بحاصلاتها وهذا ما يحقق رغائب أبنائها التي اعربوا عنها في مناسبات عديدة والتي ما زالت متنزى الجرح الذي ما يفتأ على الزمان دامياً ومثار الدمع ما يبرح على الدهر هاميا .

صفاته

كان في البدء معارضاً وصار في النهاية معارضاً أيضا .

وهو تاريخ كبير في سن صغيرة وشأن جليل في جسم جبار . منتظم القسمات متسق الجوارح ، ولعله بين الاربعين والخمسين ابيض اللون مستدير الوجه ضيق الجبين أنفه بائن الطول والانتفاخ في قليل من شمم وتيه تبدى على فم رقيق الشفتين ضخم الصوت ، واذا ارتفع كلامه تسلخت بعض شعبه ، واذا

تحدث سواء بالعربية او التركية سمعت جلجلة الرعد في الليلة العاصفة . وله عينان كعين الديك صفاء . بارز الصدر . على آخر طراز من الاناقة . وهو ثائر عنيف الصولة عظيم الشجاعة وافر المال . قليل الصبر سريع الغضب . يرضيك ظاهره كما يرضيك باطنه . فاذا لابسته تكشف لك عن حسن محاضرة ولطف روح وسلاسة نفس على خلاف الظن به .

ولقد تلقاه يوماً فيتولاك بوجه عبوس تكاد تتمثل فيه غيماً ورعداً ومطراً . حتى إذا بحثت الامر وتبينت السبب وجدت الرجل تنوء به جلائل من الاعمال فيها ما يسر وما يسوء وفيها ما يبسط أسارير الوجه وفيها ما ينكر ضواحيه ويعكر نواحيه

خواصه

لا ينزل على المهانة في أي حال كان وحسبك أن تدرك منه اذا تحدث اليك انه رجل لا يريد الا ان يكون عظيما . او على الصحيح أنه لم يخلق الا لعظيم . ولا يرى غضاضة في ان يظهر على رأيه اي انسان كان . يعالج الامور بقوة وعزم وصلابة في موطن الرأي .

اقوال الناس فيه

حقد عليه الناس قديماً بما يظنون فيه من تنكيل بالبلاد وكيد لها فغامر في الميدان السياسي بحزب قوي وصدم

الكتلة الوطنية فكاد ان يصدع بنيانها ويفرق صفوفها فتحرجت من هذه الحال عليه الصدور فتربصت به المكروه . حتى اختط له منهجاً جديداً ، فتفقد الغائب وعاد المريض وشيع جنازة الميت وانه لاصحابه برغم كثرتهم مهما يكرثهم الحدثان وينزل بهم من المصائب ، فاهاب بالبلاد ، فنهضت في اثره الجموع .

على بك العابد

صفاته وخواصه

حدثني ذات يوم المرحوم الاستاذ حسن النحاس نديم الاكابر الى الموائد الفاخرة ؛ وسمير محمد علي بك ، عن فخامته قال : هو خازن المال وسجان الذهب الرهيب ، فمهما يدخل خزانته من النقود ؛ فانه مفقود ، والخارج منه مولود ، وهو لا يعد مع ذلك من المقترين بل له في بعض الاحيان سخاء في المال ولكن بشرط ان يكون هذا المال بين يديه لم يدخل الخزانة بعد ، والمثل على ذلك مطبخه الجاهز العامر بانواع الاطعمة والمآكل الفاخرة ، فقدره لا تنزل عن النار ، بل يمسك بالزائرين لكي ينطحوا الزاد ولا سيما في رمضان المبارك .

وغالب الظن أن هذه العادة ورثها عن أجداده القدماء موالي العرب الكرام ، الضاربين في بادية الشام وسائر الاصقاع العربية ، وهؤلاء قوم يهون عليهم نحر الجزور ، ويرخص لديهم قنطار السمن كرما وجوداً للضيف ! ولكنهم لا يفرطون بالدينار في غير هذا المضمار .

لونه السياسي

كان غريباً على وجه التقريب عن الاوساط السياسية الوطنية قبل انتخاب المجلس النيابي العتيد برغم كونه من بيوتات الوجاهة المعروفة بدمشق ، وعنده من الثقافة ما لا يحمله كثير من الأغنياء . والمأثور عنه انه لا ينزل ميدان الجهاد مهما يلزّ الحال ، بل يقف « متفرجا » عن كثب على المتقاتلين ، فمتى ملّ المتخاصمون الكفاح والكر والفر ، ولوه الامر الذي عليه يقتتلون من دونهم ، فعندئذ يتحرك هو من مكانه ويقفز الى الساحة بسرعة ثم يعود ظافراً بالغنيمة الباردة ! ... ولا يعلق على ثيابه غبار المعركة ! والسر في ذلك انه ارستقراطي سَريّ لا يستطيع النزول الى مستوى الشعب ولا يتمكن الشعب ان يصعد الى الدرجة التي هو فيها .

مذهبه الاجتماعي

لعل الثقافة اللاتينية وحضارة الفرنج ومدنيتهم بلغت من نفسه كل مبلغ ، فبات شديد الاعجاب بالفرنسيين بوجه خاص وبالغربيين بوجه عام ؛ وأقرب الى عاداتهم منه الى العادات الشرقية ، فيجيد اللغة الفرنسية ويحفظ تاريخ الغرب وآدابه اكثر من لغة الضاد . وبالاجمال انه يفضل مياه (السين) على (بردى) و (عين الفيجة) وغاب « بولونيا » ومنازل « الشانزليزه »

أفضل بنظره من غوطة الشام و « ساحة المرجة » وربما تعرف الى عواصم اوربه واحيائها معرفة من دونها معرفته المدن السورية .

رأيه في الوحدة

ذكرنا فيما تقدم ان ليس لفخامة الرئيس رأي بالنهضة السياسية والوضع الحاضر ، غير أنه لا يفوتنا البيان بما نعنيه من بحثنا عن ميوله التي فطر عليها بالطبع والغريزة ، فيمكن أن نقول : إنه يرغب بالوحدة السورية الصغرى ، وقدلا يقول بالوحدة العربية الكبرى الجامعة .

مسلكه

يكره المواقف السلبية ، ويمقت المعارضة مقتا شديداً ، وهو « فرنكوفيل » من الطراز الاول .

اقوال الناس فيه

عنصر خير وسلام ، يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ، ويندر أن يجلس الى مائدته وحيداً ، فلا يستطيب الطعام الا مع الجماعة ، لذلك كان محتفظاً بزهرة المجالس المرحوم الشيخ حسن النحاس . وقلما تناول عشاءه من سوى الفواكه اللذيذة والثمار الطيبة ، بسبب ما يدعوه الاطباء (ريجيم)

وهو اصلح رجل في الدولة لوظيفة غير مسؤولة لفرط مسالمته . وهذه الصفات كانت عاملا فعالا بقبول الحل الذي

اتفق عليه الحكوميون والكتابيون فكانت نتيجته على الفريقين (لا عليّ ولا لي) فتبوأ المقعد الاول في الدولة الذي لا يحمّل صاحبه في الشؤون السياسية والخدمات أدنى مسؤولية ؛ خلافاً للرئاسة الثانية التي تحتاج كثيراً من التعب والدهاء ، فعليها مدار الاعمال وعلاقات الفرد والجماعات بالحكومة . ومن لزومياتها أن يظلّ القائم بأمورها في الميدان وأن يكون رجل الشعب والحكومة معاً .

عطا بك الايوبي

صفاته

وجه طويل على عنق طويل على جسم طويل ، لا بالبدين ولا بالهزيل . لحية دقيقة في هيئة لطيفة على شكل مثلث الزوايا ناعم السبلة وشعر العثنون وله عينان حديدتان مستديرتان في غير سعة فيهما مظاهر الرجل الشرقي القديم من مروءة وعروبة ، دقيق الانف ممدود الذقن اسمر اللون مازجته صفرة خفيفة مستعذبة ، نجم من أسرة كريمة العرق جم الأدب وافر التهذيب وادع النفس مطمئن القول فلا غضب ولا مراح ولا ضغن ولا وجد حتى لترى فيه خفر الكاعب وارتياح الاطفال مهما لجّ الحديث وتعلق بما يحفز ويثير .

خواصه ومزاياه

شديد الوفاء ، حريص على مودة الاصدقاء ، وقد قال فيه جمهرة علماء الحقوق ورجال العدل : لا نحسبه عادى أحداً أو عاداه من الناس أحد الا في عمل سياسي ، ومما عُرف عنه وقيل فيه أيضاً إنه لا يتقبل شفاعة ملتمس ولا رجاء متلمس في غير مواطن الحق ، ويخشى أن يتغلغل قبول الالتماس في قلوب

الحكام فيمحو مكارم الأخلاق . وان الحكام اذا صلبوا جميعاً على تقبل الرجاء يمنعون الأذى ويستكفون الضرر ويطبعون على صدور الناس حب الحق وإجلال القانون واحترامه على مرور الأيام .

ويعتقد أن الحاكم اذا كان عدلا في عمله فليس هناك معنى للرجاء عنده إلا أن يراد به العدول الى الظلم وتعمد الخلاف للقانون . واظهر خواصه انه يغار على عمله فلا يدع كبيرة ولا صغيرة من أعمال وزارته الا قلبها على كل نواحي الرأي . فلا يرهق موظفيه بطول المراجعة ولا الاستخبار ولا يتكئ عليهم . بل هم يتكئون على فطنته واختباره فيما يمضي ويجيز من الاوراق والمعاملات الرسمية .

اقوال الناس فيه

ارستقراطيّ المولد ، ديموقراطي الروح . فلا غريزة من تلك الغرائز التي تتفجر في صدور الاغنياء ، مكفوف الاذى ، عفيف الجيب لا يجد البغي الى عواطفه سبيلا ، يجالس السوقة في متاجر (مدحت باشا) وفي (سوق الحميدية) يتحدث اليهم في شتى المواضيع ويخاطبهم على قدر عقولهم حتى يصبح قطعة من نفوسهم ؛ فلا تدري إذا كلمك اعلمه اوفر من عقله أم عقله اوفر من علمه إلا أنه أوفى بهما عَلَى الغاية ؛ وهو من النبلاء

الذين انصلوا اتصالا قويًا بالأوساط الشعبية وبيئاتهم فتفهّم حياتهم وتمرّس صعاب الأمور فاضطلع بتنوع مصائر الدنيا وأشكالها فصار خليطًا من كل ما تقلب فيه من ملعب الاجتماع فيزور جاره الفقير ويواسي البائس ويمشي في جنازة الميت وهو في حد ذاته عدة قوية للوطن والإنسانية .

رأيه السياسي

يرى من أهم الواجبات القومية قبل كل شيء توجيه الجهود والقوى لكي ندفع عنا الخطر الصهيوني الذي يهدد بلادنا وبات محدقًا بها من جميع الجهات ، فمشروع «البطيحة» وانقاذ أراضيها من الطامعين انفع لنا وأولى بنا من معالجة الشؤون الموضعية بالعمل السياسي ، وحجته في ذلك أن الأوضاع السياسية صفة عارضة وانها زائلة ، واما الارض التي هي العنصر الاول في تكوين الوطن فباقية لا محالة !...

أما إذا دام الحال عَلَى هذا المنوال والجانب السوري في جفوة وتناء عن الجانب الفرنسي فسوء المصير محتم علينا ولا بدّ من خسراننا كل ما لدينا من حطام الدنيا ومتاعها . فيجب علينا أن نتحد أحزابا وشيعًا لنمنع هـذا العدو الرهيب من اجتياح بلادنا والاستيلاء عليها بطريق البيع الذي لا حيلة لنا في مرده بعد الفوات .

على أن الاساليب التي ينبغي السير عليها نحـو المنتدبين لتحقيق بعض مطالب الامة ورغباتها اذا لم يكن نوالها محققاً على التمام والكمال ، فانما هي الحكمة الصالحة لوضع الثقة بهم - ويرى الوطنية الصحيحة في خدمة البلاد شتى المسالك والمذاهب .

فليس حقاً ما يعنيه البعض من أن العمل الوطني يقضي على المشتغلين فيه بان يكونوا في منعزل عن الوظائف وقبول المساعي العامة . لان الوطنية تظهر عند كل انسان في وجوه مختلفة فيعمل كل واحد علَى شاكلته . فالتاجر إذا صدق ، والطبيب اذا عالج العليل بمهارة واخلاص ، والمحامي اذا برّ باليمين الـتي اقسمها ، والمعلم في المدرسة إذا أحسن تهذيب تلامذته وعلّمهم أن حب الوطن من الإيمان ، وقال لهم « الدين لله والوطن للجميع » ، والصحافي إذا نشر الاخبار الواقعة وذكر الحوادث بامانة المهنة الشريفة وحرر المقالات التي من شأنها تثقيف العقول والأفكار ، فان كل واحد من هؤلاء قد قام بالوظيفة المتوجبة عليه للانسانية عامة ولابناء قومه خاصة ، وليس يفضلهم الجندي الشجاع الذي مات في ساحة الحرب دفاعاً عن حمى الاوطان بشيءٍ ما ! .

رأيه في الانتداب

عطا بك نزّاع الى الاستقلال ولكنه يرى الانتداب في

مصلحة البلاد ما دام السوريون غير أكفاء للنهوض بمرافق الحياة الاجتماعية · فلو فرضنا مثلاً : جلاء الفرنسيين عنا ، فماذا يكون وماذا يجري بنا ؟ · · الا تمسي بلادنا مسرحا للغزاة الفاتحين ؟ · · هذا بقطع النظر عن اضطراب حبل الأمن في الداخل وإخلال الامن العام · فالانتداب الموقت اذن من ضروريات حياتنا الاجتماعية على نحو المثال القائل : سلطان غشوم خير من فتنة تدوم ·

رأيه في المعاهدة

لا يقول إن المعاهدة خير ما أخرج للناس من هذا النوع كما أنها ليست بالنير الثقيل الذي ألقاه على اعناقنا رجال الانتداب بل يمكن ان نلقي به الى الأرض ونطرحه جانبا في يوم من الايام · فمن الحكمة أن نرضى بالمعاهدة ولو كان فيها اجحاف وانحراف على الجانب السوري لكي يتقرر موقف المتعاقدين منها وكان في وسع المجلس النيابي ان يناقش فيها مادة مادة فليس التبديل والتعديل فيها من الامور المستحيلة ، لا سيما وان المعاهدة وثيقة تحدد مدى نفوذ كل من الجانبين · اما اذا قال قائل : إنها صك في الاعناق على الاوراق يدوم حتى نهاية المدة القانونية ، فالمعنى من ذلك أن حكم هذه المعاهدة باقٍ ما بقيت الدولة العاقدة قادرة على انفاذ احكامها بالسيف والنار · وهذا على كل حال

امر نحن فيه لا مفرّ لنا منه الآن ؛ ولكنه يزول بزوال القوة عن الطرف الاول ، ولا قيمة لمنطوقه اذ ليس له ضامن اجباري يلزمنا اتباعه سوى الوسائل التي المعنا اليها وعندئذ يصار الى الاصل ، والاصل هو الاستقلال الذاتي والسيادة الداخلية . فعطا بك يتوق الى الاستقلال كما يتوق العليل الى العافية ولكنه لا يرى بداً من اطاعة طبيبه ومن تناول الدواء المر المذاق والكريه حتى يمنّ الله عليه بالشفاء ، فيبرأ ويتمتع منه بالصحة الجيدة .

حياته السياسية

تعلم في صدر شبابه بمدارس دمشق ثم شخص الى الاستانة فتلقى العلم في المكتب الملكي العثماني حتى تخرّج منه فعين قائمًا مقام . ثم توفَّع الى متصرفية اللاذقية التي ترشح لها المرحوم شكري بك العسلي . ثم توفع الى متصرفية « اينيشل ملفيكا » المستقلة . ثم ترشح عن لواء الكرك . وكان مزاحماً له المرحوم عبد الوهاب الانكليزي . والف في العهد الفيصلي مع المرحوم عبد الرحمن باشا اليوسف وبديع بك المؤيد ومحمد بك كرد علي الحزب الوطني الذي طلب الانتداب الفرنسي ورُشح للوزارة لاول مرة قبل حوادث ميسلون مع بديع بك المؤيد

على أنه صار وزيراً بعد دخول الفرنسيين لاول مرة ولما

قلبت الوزارة الى مديريات عامة استقال وعارض هذا المشروع وكان رفيقاً لعبد الرحمن اليوسف وعلاء الدين الدروبي اثناء السفر الى حوران بصفته وزيراً للداخلية للاطلاع على شؤون حوران فوقعت الكارثة المشؤومة . وقتل عبد الرحمن باشا وعلاء الدين بك الدروبي معه . واما عطا بك فنجا بلطف من الله تعالى . وهو اليوم يشغل منصب وزارة العدلية في الحكومة التاجية الثانية للجمهورية السورية الاولى .

عبد القادر الكيلاني

حياته السياسية في العهد العثماني

كان رئيساً لبلدية حماه وزعيمها المشار اليه بالبنان ؛ ثم قضى عدة أعوام نائباً عنها في المجلس النيابي - المبعوثان - وهو على اتصال وثيق برجال الحزب اللامركزي في الاستانة وسورية .



في العهد الفيصلي

نائب بارز في المؤتمر السوري وشديد الاخلاص للمغفور له الملك فيصل ، وللمبادىء الاستقلالية .

في عهد الانتداب

وقف الى جانب العاملين في حقل الوطنية ، وعقب الثورة أم بيروت عضواً في الوفد الوطني مطالباً بالتفاهم مع السلطة على أساس حفظ مصالح البلدين ، وفي عهد الحكومة التاجية الاولى ، أسندت اليه وزارة الزراعة والتجارة . ثم انتخب نائباً

في الجمعية التأسيسية .

وهنا صادفته حوادث خطيرة لم يخرج منها الا بسلامة يقينه وصدق عقيدته الوطنيـة ، كيف لا وهو من نواب الكتلة التي تمخضت عنها الجمعية التأسيسية وومضت يومئذ قصة رئاسة الجمهورية العتيدة وميض النار تحت الرماد وائتمر الكتليون على تولية ابراهيم بك هنانو لها ، وقالوا إن الاستاذ تاج الدين افندي يوقع مضبطة سرية من النواب لرئاسته ، فعرضت على عبد القادر افندي فرفض توقيعها صارخا صاخباً . ثم انكر الاستاذ الحسني وأنصاره وجـود المضبطة واتهموا عبد القادر افندي بانه قد اختلق وجودها وحدثت مشادة عنيفة وتأجلت الجمعية التأسيسية . ثم تأجلت وحميت المشادة بين الرجل ورئيسه وطال الجفاء حتى انتهى بخروج الرجل من الوزارة وخرج مغضوبا عليه من رئيسه . ولكنه لم يسلم من المقابـلة بالفتور أيضاً من رجال حزبه أنفسهم ـ ويعزو البعض السبب في ذلك الى بقائه طويلا في الوزارة بعد تأجيل الجمعية لذا لم يكن يحضر بعض الاجتماعات التي كانت تعقدها الكتلة بعدئذ . ويحضر بعضها الآخر .

ولكن يقال إن الكتلة قد فطنت أخيراً الى الخطيئة التي ارتكبتها بمقابلة تضحية هذا الرجل بالفتور كما قدمت ، فعادت

الصلات وثيقة بينها وبينه اكثر مما كانت قبل الفتور ٠

عقيدته

شديد الاستمساك بالوحدة السورية ويعتبرها اساس كل عمل ايجابي ، وانها يجب أن تكون هي وضم الاقضية الاربعة وطرابلس فاتحة لكل تفاهم قد يحمله الغد ٠

رأيه في الانتداب

يرجح الانتداب الفرنسي ويفضله على سائر الانتدابات الدولية ٠ وهو شديد الايمان بعدالة القضية العربية وإمكان تحقيقها ٠

المنبج

يرى أن الوطنية الصحيحة هي مشاع ولكل سوري منها نصيب ، وانها إن لم تكن كذلك في الواقع فيجب على زعماء الوطنية ان يجعلوها بمزاياهم وتقربهم الى الناس كذلك ٠ والا فان احتكار الوطنية البغيض لا بد أن يصير بالبلاد الى يوم نجد زعماء الوطنية ليسوا إلا زعماء أنفسهم ـ والناس منفضون من حولهم ٠

نسبه وصفاته

عميد أعظم اسرة شرفاً وعدداً في مدينة أبي الفداء ٠ مهيب جريء حاد المزاج الى درجة الاخافة ، والى جانب ذلك

يحمل قلباً سليما طاهراً . ولذا تراه سريع الغضب والاندفاع ـ كالبارود ـ سريع الرضى والاستكانة ، كالاب الطيب الحنون . لا يتورّط في مهاترات شخصية إبان العمل السياسي ولا تخونه جرأته في أدق المواقف وأشد الازمات ، فتراه محبوباً محترما من جميع العناصر والاحزاب .

اقوال الناس فيه

صريح الى أبعد حدود الصراحة ، مما كانت له سبب شبه فشل منيَ به في حياته السياسية أخيراً ـ وأحبُّ شيءٍ اليه في حياته الداخلية ثلاثة : الرفاهية والقهوة العربية وجلساء يجيدون الاصغاء ويحبون طول السهر والسمر !

عارف بك الكيلاني

ممتاز السياسة

شخصية فذة فيها كل المؤهلات والكفاءات السياسية التي تستطيع أن تجعل منه زعيماً سياسياً من الطراز الأول، يشغل فراغاً في مركز البلاد الاجتماعي، لكن عاملا واحداً في حياته الداخلية يفت بعض الشيء في عضده ويحول بينه وبين القيام بحركة جريئة يقتحم بها الميدان السياسي فاذا هو في مقدمة العاملين في حقل الوطن يخدم بلاده فنفسه.

ولكنها عقبة سيجتازها بحول صلابة عقيدته وبصدق يقينه بواجب الجهاد المقدس المحتم على أمثاله.

قضى شطراً كبيراً من حياته رئيساً لبلدية حماة حيث كان مثالا للنبل والنزاهة وبعد النظر في مصلحة عمران مدينته ورفاهية أبنائها.

هادئ ساكن في الاوضاع السياسية العادية ، ولكن اذا ما تعقدت الامور وتشابكت واستفحل الشر وكشر عن أنيابه وتطلب الموقف حزماً وتضحية وحنكة فسرعان ما يقفز من عرينه ويقف بين مواطنيه والهاوية : وأبلغ مثال على ذلك يحتذى وقوفه وقفة الزعيم النبيل يوم الفترة ابان ثورة حماه عام ١٩٢٥ يذود بنفسه عن حمى مواطنيه المسيحيين ويدافع غوغاء العامة عن حيهم بالوعد تارة وبالوعيد الاخرى حتى فاز بحمل المدينة على اجتناب الكارثة

ويوم وقفته المشرفة في أدق ساعات الانتخاب واحرجها عام ١٩٣٢ ولقد تبرع بمبلغ جسيم يوم فرض الغرامة على مدينته عقب الثورة ، غير ملتفت الى احتجاجات اقرب الناس اليه .

رأيه السياسي

يرى أن المسلك الايجابي خير طريق لخدمة البلاد بالوسائل العملية ، في حالة تواجه فيها البلاد امراً واقعاً مبرما وذلك شرط أن يتوفر للعمل الايجابي رجال طاهرو الضمائر والايدي يكفلون حق البلاد بالحياة والتقدم قبل أن يؤمنوا بان الايجابية باب ارتزاق وسبب استئثار ، وان قرشا واحداً يخفف عن عاتق الشعب الجائع افضل الف مرة من الف تصفيقة وهتفة على

الارصفة وحول المنابر ، وان من يحمل مسؤولية الحكم في سبيل الحصول على جزء من مئة من حق بلاده في الحياة اشجع وأحق بالتقديس ممن يواجه بصدره القنابل والرصاص في الازقة والشوارع في سبيل صيحة اعجاب من الجماهير ·

رأيه في الوحدة

يعتقد أن الوحدة حيوية ضرورية ؛ وطرابلس والاقضية الاربعة باب الحياة للبلاد · ولكن من هو الذي يجرؤ على القول إن باستطاعتنا الاستيلاء عليها عنوة واقتداراً ! · ·

انما يجب علينا أن نلجأ الى الحجة والاقناع بل يجب أن نخلق في البلاد ميلا الى الاقناع بالمنطق · يجب أن نلقي امام أعين القوة الحاكمة الضوء على الحقيقة الواقعة التي لا مفر منها وهي :

إن الوحدة أول مادة من مواد حياتنا ، وحياتنا أولى مواد سمعة فرنسا في الشرق ثم في العالم · · · هذه حقيقة لا بد أن تفهمها فرنسا في يوم قد لا يكون بعيداً لان الواقع يثبتها كل يوم وفي كل ناحية ·

صفاته وخواصه

ملك المال في مدينة أبي الفداء ، سليل بيت عريق في

المجد والشرف بين بيوتات البلاد السورية ؛ وأحد أركانه ومفاخره . شاب في أينع سني الرجولة واكمل صفاتها شهامة ونجدة ومروءة .

مرح ، لسن في مجالسه الخاصة المألوفة ، وقور رزين دقيق (الانيكيت) في مجالسه العادية وشبه الرسمية . يتمتع في كل من هذه وتلك بشخصية ارستقراطية لينة جذابة .

الدكتور عبد الرحمن الكيالي

سمعتُ ذات يوم رجلا يتكلم في نزل « امية » بصوت ناعم رقيق تمازجه غنة لذيذة ، فاعجبني حديثه ، وأساليب تفكيره بتحليل المسألة السورية



وحادثاتها السياسية ، وكيف يصرف الكلام بلباقة على وجوه مختلفة ويرجع بهـا إلى أسناد التاريخ وقواعد المنطق ؛ فأحببته وسألت عنه ، فقيل لي : هذا هو الدكتور عبد الرحمن الكيالي ؛ فتعرفت اليه للمرة الأولى ، ومرَّ حالاً في خاطري وقلبي (سميه) الدكتور عبد الرحمن الشهبندر . فعلمت أن للشهباء حظّاً بطبيب ماهر في عالم الطب والسياسة ، وللفيحاء حكيم بارع في الصناعتين معاً : فكما عندنا في دمشق كذلك في حلب أيضاً ! .. انه توزيع الطبيعة العادل وتقسيمها الحكيم ؟..

رأيه السياسي

الدكتور الكيالي هو رأس الحواريين — في الكتلة —

الذي ينقل رسالتهم السياسية للعالمين ، وينشر تعاليمهم بالقلم واللسان ، متى كان الزعيم الكبير ابراهيم بك هنانو منحرف الصحة ، وقلما كان هذا سليم المزاج ! . . . فيتصرف بادائها قليلا . بيد أنه لا يخرم الهدف ، وهيهات أن يحيد عن الصراط المستقيم ، وغالب الظن أنه يراعي ظرف المكان والزمان على قدر ما يقتضيه الحال ، شأن الخطيب اللبيب فينفذ الى مسامع الحضور حتى يستقر في الأذهان والالباب ؛ وكثيراً ما توفق بضرب الامثال الحكيمة والحكايات الظريفة إلى إقناع الجموع وسوقهم نحو الغاية التي يريد ، فكلما رآه الزعيم حسناً رآه الدكتور حسناً أيضاً .

خصائصه

قليل التكلم ، راسخ العقيدة ، قوي الايمان ، ولكنه اذا تكلم افاد ، واذا خطب أجاد واسر المخاطبين بقوة الاقناع . ولعله في موقف الخطابة ابلغ منه في مواضع الحديث والمجالس الخاصة .

رايه في الوحدة

لا شك أن الطبيب يرى سلامة الانسان في حفظ جسمه كاملا تماما فهو لا يفرط بعضو واحد منه الا لكي ينقذ المجموع وهذه القاعدة الطبية من مشكلة الوحدة السورية سيان ، فينبغي أن تكون لازمة لها في تحقيق مطالب البلاد .

رايه في المعاهدة

يرى المعاهدة ـ حبراً على ورق ـ مهما يكن لونها ـ وكيفما كان نصها وصيغة بنودها ما دام ـ حسن النية ـ مفقوداً من الجانبين الفرنسي والسوري ، وحجته أن تنظيم المعاهدات ؛ انما يقوم على أساس المصالح المتبادلة بين المتعاقدين فلا يفرط أحدهما منها شيء ؟ . وخرق العقود يظهر من قبل الفريق القوي ، فله وحده حق الاجتهاد بتفسير النصوص كما يريد

وهو يرى المعاهدات عند الامم ليست سوى وثيقة المتعاقدين وبيانهم ؟ ... وهي أشبه برسائل العشاق في بث اللواعج والاشواق ، كلها مبنية على العواطف والاهواء . فركن المعاهدة الدولية ، هو الثقة التامة المتبادلة ، والمعروض في السياسة انهابنت المصلحة الخاصة . فمن الواجب على المجلس النيابي والعاملين في الحقل الوطني أن يوجهوا جهودهم ويحولوا افكارهم الى تحديد الصلاحيات وتعيين العمل ومطالب الامة قبل ان يدخلوا ساحة الانتخاب ويعقدوا العقود ، ومتى بدرت لهم بادرة « التفاهم النزيه » يسيرون حينئذ لوضع « الاستقرار السياسي »

رايه في القضية

ليس هو من المتشائمين ولا المتفائلين ؛ بل يرى ان نجاح القضية متوقف على اتحاد الاحزاب ووحدة الكلمة ، والا فالفشل

الاكيد واقع بدونها لا محالة .

اقوال الناس فيه

طبيب الاجسام وطبيب الارواح . وعنصر من عناصر الخير والانسانية ، يحبه الناس حتى خصومه السياسيون ؛ فذكره في مدينته يدخل في كل مقام من اماكن الحشمة والاحترام كما يدخل الملح في كل طعام

الخلاصة والنتيجة

من صفاته وخصائصه أنه انكليزي الطبع . واعجب منه اذا شاهد ـ اللون الأحمر ـ يذوب رحمة وحنواً علىٰ صاحبه فقلبه ارقّ من ديني ، وارق من قصيدتي في « غادة اليهود الساحرة عند حمامات البحر »

ولو انيح لي ان امزج بينه وبين صديقه سعد الله بك الجابري لاخرجت منهما انسانين متساويين في الجوهر على اتم صورة كمالا واعتدالا ، خلقا ومزاجا !

عارف باشا الادلبي

نشأته

ولد في دمشق من اسرة عريقة في النسب وطيب الأرومة . وتلقى في مدارسها العسكرية دروسه الاولى التي أتمها في الآستانة في مدرستي الحربية واركان الحربية وخرج من هذه الاخيرة سنة ١٩٠٨ برتبة يوزباشي .



حياته العملية

تقلب منذ ذاك التاريخ في مختلف الوظائف من عسكرية وادارية وسياسية في مناطق حلب ومرعش والزيتون . وخاض غمار الحرب الكونية في مناطق الدردنيل وادرنة وكردستان والعجم والعراق واشترك في اشهر المواقع الحربية في هذه المناطق وكان له فيها بلاء حسن . وعندما وضعت الحرب اوزارها عاد الى ديار بكر وبقي فيها الى اواخر عام ١٩١٩ ثم غادرها الى دمشق بالاجازة . على ان التقسيم السياسي الذي طرأ على البلاد بعد عقد المهادنة

العالمية حمله على قطع كل صلة له بالماضي وعلى تكريس جهوده وحياته لخدمة امته العربية الناشئة · فانخرط في سلك الجيش العربي الفيصلي برتبة رئيس اركان حرب الفرقة الثالثة بحلب · وبعد تقلص ظل الحكومة الفيصلية ودخول فرنسا البلاد السورية عين قائدا عاماً لدرك دولة حلب · وفي شهر مايس من ١٩٢١ قدم استقالته من وظيفته طالبا احالته على التقاعد فكان له ما اراد · وهو يحمل اوسمة عديدة اخصها مدالية الحرب واللياقة والوسام العثماني ذا السيفين من الدرجة الثالثة ووسام الاستقلال العربي من الدرجة الثانية · وفي تلك الاثناء وقعت في دمشق حادثة المستر كراين الاميركي المشهورة فكان عارف باشا في عداد المعتقلين وأُبعد فيمن ابعدوا الى خارج الحدود السورية فاقام في مصر وعاد منها الى دمشق على اثر العفو الذي صدر عام ١٩٢٣ · وفي ١٩٢٤ سافر الى الحجاز وجاهد الى جانب العائلة الهاشمية في رد غارة السعوديين بصفته وزيراً للبحرية ورئيسا لاركان الحرب في حكومة الحجاز · غير ان المرض الجأه الى مغادرة الحجاز قبل انتهاء الحرب المذكورة فعاد الى دمشق وتفرغ فيها للاشتغال بالسياسة المحلية طيلة سنوات خمس انشأ في خلالها الحزب الملكي وبذل جهوداً جبارة في سبيل بث الدعاية للملكية يناصره في ذلك

كثير من اخوانه ، فلم تلبث هذه الجهود الصادقة ان تكللت بالنجاح وانتشر المبدأ الملكي في جميع الانحاء السورية انتشاراً سريعا سواء في الداخل او الساحل . على ان اختيار الدولة المنتدبة النظام الجمهوري لتطبيقه في حكم البلاد السورية واتفاقها مع الحزب الجمهوري المعروف بالكتلة الوطنية وتشكيل الوضع الحكومي الحاضر على اثر ذلك ، اهاب بمؤسس الحزب الى وضع حد للمنافسة القائمة بين احزاب البلاد المختلفة فآثر الانسحاب من السياسة ، على انه ما انفك عاملا في سبيل خير بلاده في سكون وطمأنينة شأن الوطني الصادق .

رأيه في القضية السورية

يرى ان لسورية حقوقا يجب على فرانسا الاعتراف بها كما ان لفرنسا مصالح يجب على سورية ضمانها . وحل القضية السورية متوقف على التوفيق بين هذين المبداين الاساسيين . فمتى تم الاتفاق بين الجانبين السوري والفرنسي على مطالبهما انتهى الاشكال وحلت القضية حلا عادلا يضمن لسورية سعادتها وازدهارها ، ولفرنسا كرامتها ومقامها التقليدي في الشرق . وهذا الحل لا يتم الا بالشروط الآتية :

١ حسن النية من الجانبين السوري والفرنسي

٢— القاء مقاليد امور سورية الى زعيم مخلص دقيق

النظر واسع الخبرة يقود الشعب السوري الى تحقيق أمانيه في سبيل التفاهم مع الحكومة الفرنسية ·

وان تحقيق هذين الشرطين ميسور فيما لو نهجت فرانسا نهج انكلترا في العراق وكل محاولة للحل بغير هذه الطريقة فاشلة لا محالة فتبقى البلاد والحالة هذه قلقة مضطربة لا تعرف للاستقرار وجها · وهذا مما يثير على الدولة المنتدبة مشاغل هي في غنى عنها بل ان في وسعها تفاديها اذا شاءت ·

فارس بك الخوري

صفاته وخواصه

ربعة بين الرجال تخطى العقد السادس ، واسع الصدر . واسع العارضة . عالي الجبين ، مستدير الوجه ، وسعت عيناه الضيقتان الكرة الأرضية علماً وعرفاناً بأحوال الأمم والمواقع الجغرافية منها . ولعلهما احاطتا الغرب وبصرتا عواصمه ودخلتا مجالس السياسة فيه . وأشرفتا في الشرق على مدنه وقراه والبادية والصحراء . ونفذ



الى الحجاز برغم مسيحيته لكي يؤدي فروض الاسلام فيحج بيت الله ورسوله . ثم يحيي عاهل العرب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود . وهو لم يبرح مكانه بدمشق . عريض الصوت إذا تحدث اليك فكأنه يقرأ في كتاب مفتوح بل

تخال أنك في دار الكتب الخديوية بمصر ·

رأيه السياسي

سألت الاستاذ عن رأيه في المسألة السورية فامتنع ، وما كان في يوم ضنينا ، ولكنه اعتذر الي بحجة انه على رأس مشروع تجاري وطني ـ السيمنت ـ وفي المجاهرة بالرأي لذة عظيمة الا أنها تكلف الوطني ثمناً اعظم ·

فالحكمة الاجتماعية تقضي على الانسان المفكر ان يضع الاشياء مواضعها ، فما دامت العبرة في الاصلاح فالاستاذ لا يخشى أن يلام في سبيل مدح وثناء متى أيقن أن الناس لا يأتون عملا إلا مراعاة لرأي الناس ·

غير أنني بالاستناد لطريقتي الاستدلال والاستقراء يمكن ان استنتج ما يجول به فكره ويخالج نفسه ويخامرها في مصائر البلاد ·

فالشمس مهما تحجبها الغيوم عن الابصار فلا نقدر أن تمنع ضياءها عنا ولا تبعد حرارتها النافعة المفيدة لنمو المخلوقات · والهواء يلامس اجسامنا في كل مكان وزمان بدون أن نرى له وجها ولا نتعرف اليه بلون وشكل

المشكلة السورية

يعتقد معالي الاستاذ الخوري ان قوام المشكلة السورية

عاملان طبيعيان هما : القوة والضعف ، فعلى أحدهما تبنى حياة الامم ، فليس للغرب أن يجتمع بالشرق بسبب هذين العاملين ما دامت الانسانية بدأت حياتها في الاجرام فالطبيعة نفسها هي التي تعلم البشر الاجرام !! .. فهذا الانسان اول ما يفكر به حينما يستفيق من نومه باكراً هو الاجرام فاما ان يطلب دجاجة فيذبحها ويتغذى بها ، او يظفر بنعجة فينحرها ويطبخ لحمها على النار ليكون طعاماً صالحاً له او يبغي نباتا فيقلعه من مكانه وثمراً يقطعه في مغرسه ليجعله مؤونة له وزاداً ، فلو كانت الدجاجة ذئباً خاطفاً والنعجة أسداً ضارياً والنبات عوسجا شائكا جارحا لحاذر الانسان خطراً يهدده وأعرض عن طلبه

المعارضة

لا يرى الاستاذ ان في البلاد شيئاً اسمه معارضة او سلبية وانما هناك مطالب عادلة متى تحققت زال هذا الشيء المعروف لدى الجانب الفرنسي بالمعارضة او السلبية ، ودليله أن المرء يعارض فيثور اذا جاع أو ظُلم فغُلب . أما الغالبون فلا يكونون عصاة ثائرين ؟ ...

مصير القضية

يعتقد الاستاذ ان مصير القضية الوطنية لا بد أن ينتهي بحل مرضٍ يضمن مصلحة السوريين والفرنسيين معاً وهذا الحل

يكون بالتعاون المحتم على الفريقين يوم تعلم الحكومة المنتدبة كيف تنفض كفها من أولئك الذين اجلستهم على الكراسي العالية وأمدتهم بقوة من لدنها خلافاً للذين تمدهم الامة بقوة من عندها فيمدونها هم بقوة اخلاصهم لها . وليس هذا اليوم ببعيد !

رايه في الوحدة

الاستاذ الخوري من طلاب الوحدة ولكنه يفضل قرية مستقلة على قارة مستعمرة

اقوال الناس فيه

علم من اعلام العرب في السياسة والأدب بالبلاد المشمولة بالانتداب ، خطيب ساحر قوي الحجة ، فارس الميدان في كل فن وعلم ، وفارس الكتلة وعميدها ـ وله في اليقظة القومية والدفع عن حقوق البلاد مواقف غرّ محجلة ؟

حياته السياسية

بعد أن أتم الاستاذ التحصيل الابتدائي في مدرسة الاميركان بصيدا انتقل الى جامعة بيروت الاميركية وأحرز منها درجة مجاز في العلوم والفنون عام ١٨٩٧ وقد امتاز من سواه بانه كان يجتاز دروس سنتين بسنة واحدة . وهذا أمر لم يسبق له مثيل في تاريخ تلك الجامعة العظيمة ثم انتخبته هيأة ادارة الجامعة مدرس الرياضيات في قسمها الاعدادي . ثم عين مديراً للمدارس

البطريركية بدمشق . وبسبب اشتغاله في الشؤون السياسية وقتئذ اضطر أن يحتمي بوظيفة ترجمان و « فونشلار » في القنصلية البريطانية بدمشق .

ولما أعلن الدستور العثماني اشتغل في المحاماة ثم انتخب مبعوثا عن دمشق في البرلمان

ولما أعلنت الحرب العالمية جاء به جمال باشا وحاكمه في ديوان الحرب العسكري « بعاليه » وتبرأ فعاد الى الاستانة وظل فيها حتى ايلول ١٩١٧ ثم عينته وزارة طلعت باشا عضوا في مجلس شورى الدولة

ثم قدم دمشق بالاجازة وبعد وصوله دخلها الحلفاء واشترك في تأسيس الحكومة العربية . ولما بويع الامير فيصل ملكا على سورية عين معاليه وزيراً للمالية في الوزارة الركابية وظل ايضا في الوزارة الاتاسية وفي الوزارة الدروبية .

وفي العهد الفرنسي عين مندوبا عن مجلس الاتحاد السوري . وفي الانتخاب الذي جرى بعد ذلك منعه الجنرال ويغان من دخوله بمادة وضعها في قانون الانتخاب منع بها حق الترشيح عن الاشخاص المنسوبين للطوائف الصغيرة ؛ فظل محاميا ونقيبا للمحامين الى ان كانت الثورة السورية فاعتقل في قلعة ارواد ولما حل في البلاد المسيو (ده جوفنيل) أُطلق سراحه وعرضت

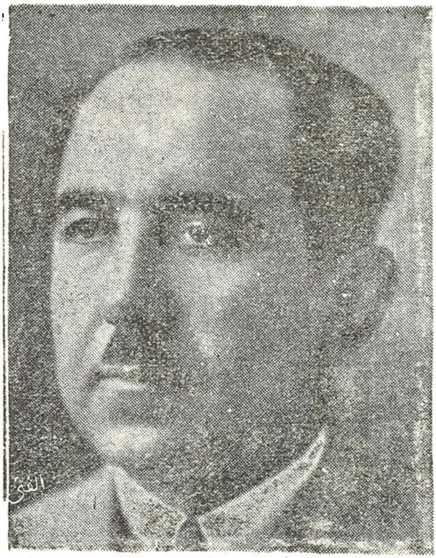
عليه الوزارة مع فخامة الاستاذ الحسني فرفضها اذا لم تقترن بشروط تنيل البلاد حقوقها . ثم دخل الوزارة - الدامادية - مع رفيقيه معالي لطفي بك الحفار وحسني بك البرازي بعد اتفاق عَلَى برنامج معين . ثم دبت دسائس سافلة حول تحقيق البرنامج فاستقال مع رفيقيه واعتقلوا جميعهم في الحسجة ثم في لبنان وعاد الى دمشق عام١٩٢٨ ولم يتمكن من دخول الانتخاب للمجلس التأسيسي بسبب القانون السابق الذكر .

وهو اليوم استاذ الاصول المالية في معهد الحقوق وعضو المجمع العلمي العربي وعضو في مجمع العلوم السياسية الاميركي ورئيس محفل نور دمشق الماسوني .

فائز بك الخوري

صفاته وخواصه

الاستاذ فائز بك الخوري اسم يدل على مسماه ٠ ٠ ٠ فهو كالنور في اعين الاصدقاء و كالنار في احشاء الاعداء ، فالبشاشة لا تفارق محياه ، والبسمة لا تترك فاه ، بل هو كالامل الضاحك ٠ شباب ما حمل من السنين اكثر من ثلاثين على انه حمل من شؤون الحياة ونكاياتها فوق الثمانين ، طويل القامة قصير الصبر ، وهو من الكتلة



الوطنية درعها المانع وسيفها القاطع كما أن اخاه فارس بك وصديقه جميل بك احدهما الدماغ المفكر والآخر العصب الحساس والحركة المستمرة ٠

يبدي آراءه صريحة فيصطاد خصومه السياسيين بقوة

الاقناع والمنطق الصحيح . ويروي الحوادث فيداعب السامعين في خطبه السياسية السخرية من خصومه والحماسة والتهكم وربما ادمى تهكمه وشان في بعض المواضع وهدم ، وكثيراً ما رصع حديثه السياسي بنادرة غريبة او بيت من الشعر بمناسبة المقام والمقال !...

رايه في اليقظة القومية

يعتقد الاستاذ الخوري ان اليقظة القومية تنتج عن قوة في النفس اكثر مما تنتج عن قوة في الادراك وعلم في المصالح ، فلذلك ينبغي علينا معشر السوريين ان نموت في سبيل الوطن لكي يحيا الوطن ولندخل نحن ايضا في حياة اخرى جديدة ، فالمرء لا يضحي حياته اذا سلبته الامل من السعادة الابدية في ملكوت السماوات

رايه في الانتداب

يذهب الاستاذ الى ان الحكومة الفرنسية ترى بالانتداب طريقا ينفذ منه الى الحكم النهائي ، والى اعتبار سورية كسائر المستعمرات الفرنسية ، اما الجانب السوري فيفهم بالانتداب ، الانتداب الحقيقي الذي افترضه الرئيس «ولسن» وهذا النوع من الانتداب لم يرفضه احد في سورية

ولكن الذي رُفض هو الانتداب الاستعماري . ومن هنا

نشأ - سوء التفاهم - او - حسن التفاهم - لان البلية ليست في سوء التفاهم بل هي في حسن التفاهم الذي يفهمنا ويجعلنا نعلم ما لنا من حقوق وما علينا من واجبات ويعين وجهة نظر كل من الفريقين الفرنسي والسوري تعييناً واضحاً جلياً، ولكن المقاصد الدولية قدمته الينا مطلياً بطلاء من المرونة والليونة ما لبث ان انكشف ما تحته عن حقيقة موئلمة. وبهذه المناسبة اذكر ان الاستاذ المحكي عنه حدثنا مرة قال: سألت احد رجالات الانتداب الكبار في البلاد السورية - من الفرنسيين - لانه يوجد رجالات انتداب سوريون - هم أشد تحمسا له من المنتدبين انفسهم لانهم ملكيون اكثر من الملك ؟.

قائلا: هل تنوي فرنسا البقاء ابدياً في سورية ام هي تنوي ايصالها الى استقلالها فقط ثم مغادرتها ؟ ... مصحوبة بالسلامة - ؟ .. فاذا كانت تنوي البقاء فليست خطتها في سورية خطة مقيم مستقر، واذا كانت تنوي الرحيل فليس من الحكمة ايضا ان تسلك هذه السياسة مع السوريين ونصرح بعد ١٧ سنة ان معاهدة كليمنصو - فيصل تفضل من وجوه كثيرة معاهدة - ده مارتل - محمد علي بك العابد . وهذا دليل التأخر في عهد الانتداب ؟؟..

م ١٩

رأيه في المعاهدة

يفضل الاستاذ المشار اليه الانتداب الاول المعروف — بانتداب ولسن — على معاهدة تربط سورية بدولة اجنبية لمدة ثلاثين سنة وتقطع علاقتها مع عصبة الامم ·

رأيه في مصير البلاد

يرى الاستاذ اننا ما دمنا على حالتنا الحاضرة فالتقـدم غير مأمول ! بل التراجع هو نتيجة طبيعية للخطة المتبعة في سياسة البلاد · ودليله في ذلك المقارنة بين معاهدة عام ١٩٣٤ وما تقدمها من المعاهدات فهي اقل من سواها ضمانا لمصالح البلاد ·

اصلاح الموقف

يزعم الاستاذ ان التاريخ لم يعـرف جماعة قامت بعمل وطني عام بدون زعيم ترجع اليه في امورها وتـكون كلمته هي العليا ، ولعل الكتلة الوطنية أول هيأة يتساوى افرادها علماً وكفاءة ومنزلة على وجه التقريب بحيث يكاد كل منهم يصلح لما يصلح له الآخر مما حدا بكثيرين الى الاعتقاد ان الزعيم الوطني الحقيقي لما يظهر بعد ، فان هتلر ، وموسوليني ، ولينين ، ومصطفى كمال ، وزغلول ، وابن سعود ، وغاندي وخلافهم من قادة الشعوب انما نبغوا بانفسهم اولا ثم التف الناس حولهم

وساعدهم هذا الالتفاف على اظهار قواهم الكامنة والنهوض بامتهم والبلوغ بها الى أوج التحرر والاستقلال ·

وهم في ذلك كله لم يحتاجوا الى تنظيم الدعايات والتدليل على ما يقومون به من جلائل الاعمال ، بل انهم عملوا · وعملهم وحده هو الذي دل عليهم وبوّأهم هذا المركز السامي الرفيع ·

نشأته وحياته السياسية

نال شهادة البكالوريا من مدرسة دمشق السلطانية ثم ذهب الى الاستانة ودخل معهد الحقوق · فانتسب الى المنتدى الادبي الذي اسسه طلاب المعهد في العاصمة العثمانية ، وبهذا بدأ اشتغاله بالسياسة العربية ·

وبعد انتسابه الى معهد الحقوق بسنتين أعلن النفير العام فتجنّد ودخل المدرسة الحربية في الاستانة ، وبعد ستة اشهر تخرج برتبة وكيل ضابط وارسل الى الجيش الرابع تحت قيادة جمال باشا الشهير ، ولما وصل حلب عزم على الذهاب الى دمشق فعين هناك ياوراً للالاي الذي كان يقوده الشهيد المرحوم امين لطفي بك الحافظ ·

وفي كانون الاول عام ١٩١٥ قبض عليه في حلب بامر السفاح جمال باشا واقتيد الى ديوان الحرب بعاليه – لبنان –

حيث كانت مجزرة الشهداء العرب وبعد محاكمات عديدة دامت ستة اشهر افرج عنه وصدر امر السفاح بارساله الى الاستانة ليستخدم في القطعات العسكرية التركية على ان لا يعود الى بلاد العرب وألا يستخدم في قطعات عربية ولا مختلطة . ولكنه اصيب بمرض الزمه الفراش في دمشق ولما شفي كان قد قبض على شقيقه الاستاذ فارس بك الخوري لدواع سياسية ثم قبض عليه هو ايضاً وسجن اربعة اشهر ، ثم ارسل مخفوراً الى الجيش العثماني الثالث المرابط في قفقاسيا والذي كان يقوده محمد وهيب باشا الذي عرفه السوريون والياً على الحجاز وقائدا .

وفي الجيش الثالث عين معاونا لمشاور الجيش العدلي . ولما تقدم الجيش العثماني الى مدينة باطوم عين قائدا للسوقيات على ميناء تلك المدينة وقائداً لسككها الحديدية :

ولما عقدت المهادنة رجع الى دمشق برتبة ملازم فعينته الحكومة الفيصلية ترجمانا لولاية دمشق . ثم استقال بعد شهر ثم اعتمده المرحوم عزة باشا العابد محاميا وكاتم سر له فرافقه الى مصر وباريس ولندن ثم ذهب الى البرازيل ثم عاد الى فرنسا والتحق بمدرسة الحقوق في جامعة باريس فنال شهادتها بعد ان اجتاز دروس ثلاث سنوات بسنة واحدة . وعاد الى دمشق فعين استاذاً

للحقوق الرومانية في معهد الحقوق العربي ثم اضيفت الى وظيفته تلك وظيفة مستشار في محكمة الاستئناف . ثم انتخب لتدريس العلوم الجزائية في المعهد المشار اليه . ثم استقال من القضاء واحتفظ بالتدريس وحده .

ولما كانت انتخابات الجمعية التأسيسية وقرر المؤتمر الوطني الدخول في الانتخابات رشح نفسه ففاز بالاجماع تقريبا . ولما انعقدت الجمعية انتخب كاتم سر لها . وكانت له فيها مواقف مشهورة . ولما تأجلت اعمال الجمعية عاد الى مزاولة المحاماة ، حتى كانت انتخابات المجلس النيابي لعام ١٩٣٢ فرشح نفسه ايضا وفاز بالنيابة . وهو لا يزال نائبا واستاذا للعلوم الجزائية في المعهد الحقوقي العربي

وهو أحد أعلام العرب في السياسة والأدب في البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسي .

فارس بك الزعبي

هو فارس بن أحمد عبد العزيز الزعبي . ورث الزعامة



والمجد . ورضع افاويق الحنكة والدراية في المهد شأن زعماء العشائر الكبرى نشأ بطبيعة الحال والظروف والبيئة سياسياً ماهراً وإدارياً حاذقاً يصرف شؤون عشيرته بكل ما يفترض في شخصية الزعيم الكبير من المؤهلات والخلال الفريدة .

حياته العملية

في العهد الفيصلي

بدأ جهاده في الحقل القومي عام ١٩١٣ اذ انتخب عضواً في مجلس إدارة ناحية المسمية . ولم يغادر مركزه الا بعد الاحتلال العربي سنة ١٩١٨ اذ انضمَّ إلى صفوف الجيش العربي تحت لواء المغفور له فيصل بن الحسين . وقد قدره فيصل حقَّ قدره وقربه اليه . وما عتم أن انتخب عضواً في المؤتمر السوري فابي المرحوم فيصل إلا أن يدلل على قدره

له فأسند اليه علاوة على كرسيه في المجلس السوري عضوية مجلس الشورى فكان في المجلسين بآن واحد . وبدأ نجمه يلمع في أفق السياسة الوطنية وكانت له يد كبرى في توسيع دائرة القضية العربية وخروجها عن نطاقها المركزي الضيق . وقد بلغ من النفوذ وقوة الكلمة مبلغا عظيماً لاسيما في منطقة حوران. وقد يكفي للتدليل على ذلك بان نذكر أن خطاباً القاه في جموع الحوارنة كان كافياً لاذكاء نار فتنة خربة الغزالة المشهورة التي ذهب ضحيتها المرحومان احمد باشا اليوسف وعلاء الدين بك الدروبي .

في عهد الانتداب

وبعد الاحتلال الفرنسي انتخب عضواً في المجلس التمثيلي ثم في مجلس الاتحاد الذي انبثق من المجالس التمثيلية الثلاثة في دمشق وحلب واللاذقية فكان المومأ اليه أحد النواب الخمسة الذين مثلوا دمشق في المجلس الاتحادي المذكور .

وابتداء من هـذا التاريخ عرف الزعبي بك أن السياسة السورية تتطلب اتجاهاً جديداً يختلف في اسلوبه ، لا في غايته ، عما اتبع حتى ذلك الوقت . ورأى ببصيرته النيرة أن الانتداب لا يمكن الغاؤه إلا باحدى طريقتين : التفاهم او الاكراه . فاما ولا حيلة للبلاد بالتخلص من نيره بقوة

الحديد والنار فلا بأس عليها بان تسعى لازالته بالطرق المرنة المسالمة وبالأساليب ؟

وقد جاهر بهـذه الفـكرة – التي برهنت الايام على سدادها لدى اجتماع الجمعية التأسيسية سنة ١٩٢٨ ونشوب الخلاف بينها وبين المفوض السامي على المواد الست فاقترح مع ستة من زملائه اعضاء المجلس إرجاء البحث في المواد المذكورة الى وقت طرح المعاهدة ٠

غير أن المجلس ـ لسوء الحظ ـ رفض العمل بهذا الاقتراح ٠ وكانت نتيجته رفض الدستور الحالي القائمة في صلبه المادة (١١٦) كابوسه الرهيب ٠

وقد جُدد انتخابه نائباً سنة ١٩٣٢ فجال في المجلس جولات صادقة تنمُّ عن صحة وطنيته وصدق عقيدته ٠ ومما يؤثر عنه عبارة ردَّ بها عَلَى وزير المال شاكر بك الشعباني الذي القى في إحدى جلسات المجلس خطاباً ضافيا مدللا فيه على ان أهمية مراكز الدول تقاس باهمية موارد الجباية فيها لا سيما رسوم تعداد الاغنام إلى أن قال : فلو ان جمعية الامم نظرت الى قلم تعداد الاغنام في الحكومة السورية فوجدته قليلا لما رأت لها اذ ذاك مشجعا على قبول دخول سورية في عداد اعضائها٠ فأجابه فارس بك : لاخير في أمة يكون قبولها في عداد

الدول عن طريق الماشية والسائمة . وقد أعجب الحاضرون بجوابه وصفقوا له استحسانا .

رأيه في القضية

يرى أن المراحل التي اجتازتها البلاد حتى اليوم غير موفقة تماما وانه كان يجب على المشتغلين بالقضية أن يسلكوا سبيل التفاهم مع السلطة لتستفيد البلاد وتنال بعض مالها من الحقوق . أما السياسة السلبية فلا فائدة ترجى منها بل هي تعوق تقدم البلاد سياسة وعمرانا .

ويرى أيضاً أنه اذا لم يُتح للبلاد نيل الاستقلال التام والسيادة القومية وكان لابد من الانتداب ،فان الامة الفرنسية هي أصلح الدول الاوربية لنا وأعرف من سواها بحالنا وبما نحتاج اليه من مقومات الحياة .

مميزاته وخصائصه

الذكاء وبعد النظر والنضوج والجرأة والاقدام

ولا نرى بأسا من ايراد الحادثة التالية التي تريبنا مبلغ الجرأة التي يتحلى بها فارس بك والتي يجدر بكل انسان أن يأتم بها :

في عام ١٩١٦ جاءت الحكومة العثمانية بطائفة من الاتراك – وكان ذلك في عهد جمال باشا – وأسكنتهم المسمية . وكان قائمقام في القضاء اذ ذاك ولي بك من رجال الترك . وكان طبيعياً أن يختص بني قومه بعطفه ويشملهم بعنايته . فدعا اليه اعضاء مجلس الادارة وفي جملتهم فارس بك وقال : إن هؤلاء القوم مهاجرون والتوجب عليكم مساعدتهم . فلم يكن في الأعضاء الحاضرين من يجسر على الكلام بسلب أو إيجاب – خصوصاً المسيحيون منهم في ذلك العهد عهد الدم والارهاب – مع أن البلاد كانت في مجاعة وبؤس شديد ، فأنى لها مساعدة الغير وهي اجدر بالمساعدة والرحمة . فوقف فارس بك وقال : بماذا نستطيع نحن أن نساعدهم وحالة البلاد كما ترى يا حضرة القائمقام ؟ وماذا أبقت لنا الحكومة حتى نساعد به سوانا ، فهل يمكن المرء أن يساعد سواه بما لا يملكه هو ؟ فقال : ان المساعدة متوجبة على كل فرد في هذا القضاء وذلك بان يقدم للمهاجرين فدانا للحراثة مع تكاليفه لمدة ثلاثة أيام . فأجابه فارس بك : وهل ان الله تعالى حين خلق هؤلاء الاتراك المهاجرين جعل رزقهم على اهالي حوران ؟ وأهالي حوران يتضورون جوعا وظل كلا الرجلين متمسكا برأيه وانفض المجلس على غير

نتيجة . غير أن القائمقام بعد انقضاء أربعة أيام على هذا الحادث استدعى اليه زعماء القرى وفرض عليهم تقديم ٥٠٠ فدان مع البذار اللازم لتشغيلها مدة ثلاثة أيام مصحوبة بما يلزمها من العلف . واجبر المخاتير على توقيع مضبطة بهذا الشأن واتفق أن الزعبي بك دخل مكان الاجتماع ، فعرضت المضبطة عليه ليوقعها فما كان منه إلا أن تناولها ومزقها إرباً إرباً وقال : إن الذين وقعوا هذه المضبطة لا يملكون سوى حق التكلم عن أنفسهم ، أما أنا فبصفتي عضواً إدارياً فانما أنطق بلسان القوم الذين أمثلهم . نحن لانستطيع تقديم أية مساعدة لهؤلاء المهاجرين واحتدم الجدال بينه وبين القائمقام وكاد الأمر ان ينتهي بالمضاربة .

وكان من الطبيعي أن يكتب القائمقام بالاشتراك مع شعبة « أخذ العسكر » في المسمية الى مقام القيادة العليا مصوراً الحادثة باشنع صور التعدي والتعرض للسلطة ومتهماً فيها فارس بك بانه سبّ العنصر الطوراني ودعا على سلطة الدولة العثمانية بالزوال ، الى ما هنالك من التهم الرائجة سوقها في ذلك العهد المظلم . فدعي فارس بك الى مجلس الحرب العرفي واستجوب ، فروى الامر بدون زيادة أو نقصان . ومما قال : لو فرض أنني تفوهت بكلام جارح فليس ذلك

سوى رد على الشتائم التي وجهها القائمقام الى عنصرنا العربي مع أن مركزه ووظيفته يحتمان عليه أن يحترم كل العناصر المؤلف منها الوطن دون تمييز بينها . وبعد ثلاثة أيام من استجوابه أُطلق سبيله بكفالة .

واتفق أن عاد الى بلدته بذات القطار الذي كان مسافراً فيه جمال باشا الى الترعة .

* * *

وهو زعيم حوران الفرد ، وكبير كبراء العشائر فيها .

فخري بك البارودي

رأيه السياسي

طلّق السياسة مراراً ، لأنها نغصت عليه عيشه ، ولعله كره تاء التأنيث فيها ! . ثم عاد اليها بدون عقد شرعي .

يرى العمل السياسي في اتجاه حسن محمود . فكلما اشتد الضيق واستحكمت حلقاته في الاعناق بات الفرج على قدره والرخاء بنسبته ايضاً .

وعلى الرغم من اعتقاده بالنصر القريب والفتح المبين لا يفتأ يندب الوطن ويبكي عليه ويخشى سوء المصير ويشكو - بختنا الاسود - !!

رأيه في الوحدة

يرغب بوحدة عربية - واسعة النطاق — ويرى نواة هذه الوحدة الجامعة واولى مراحلها ، تحقيقَ مطالب الأمة ، فمن ضروريات العنصر العربي في حياته الاجتماعية أن يكون ذا كيان واحد مستقل على مثال : نحن لا نرضى الحماية لا ولا نرضى الوصاية .

فمثل هذا الشعب لا تقوى عليه كف الزمان و كوارث

الحدثان مادام دستوره في العمل تاريخه القومي المجيد اللامع المليء بالفتوحات العظيمة والمدنية القديمة التي بهرت العالم في الشرق والغرب وشملت اقطار المعمور كافة . فكيف للموت ان ينتصر عليه . بل هو الذي ينتصر على الموت بالموت

رأيه في الانتداب

يعلم مما تقدم أن رأي الاستاذ البارودي في الانتداب مستنتج من رأيه في الوحدة ، فلا يرى الانتداب لازما باي حال من الاحوال .

لونه ومسلكه

هو في طليعة الجبهة المعارضة وفي مقدمة السالكين الخطط السلبية ، ودستوره العملي « الاستقلال يؤخذ ولا يعطى » ومن شدة اخلاصه لمبدئه وقوة ايمانه بعقيدته السياسية انه وقف ذات مرة خطيبا في قاعة النيابة فأرتج عليه وانحبس لسانه ، ولم ينطق ببنت شفة ، فسقط على المنبر مغشيا عليه .

مقامه الاجتماعي

خطيب العامة من الشعب ، وزجال لطيف القول ؛ وربما قرض الشعر احيانا ، بعيد الصيت طائر الشهرة ، فاسمه اكثر انتشاراً من سائر رجال الكتلة في البلاد العربية .

وسبب ذلك ان داره طالما كانت كمحطة (الراديو)

لاذاعة الاخبار ونقل مقررات الوطنيين وبياناتهم الى الاوساط الشعبية بواسطة تلامذة المدارس الذين ينتشرون في المدينة بسرعة البرق ينفخون في صدور الناس روح الحماس ويبعثون فيهم الحركة الفكرية غيرة وحمية

صفاته وخواصه

رقيق في مواضع ثلاثة: جسمه ، وقلبه ، وطبعه . ومن خواصه أنه لا يفارق شبابه مهما تمر عليه السنون او يمرُّ هو عليها . ففي غير مجالس الفتيان لا يجلس إلا نادراً . وهيهات أن وقع بصره الا على صبيح الوجه وضاح الجبين اسيل الخد . وفي هذا الشأن قالت سيدة انكليزية بلغت من العمر عتياً ، ولكنها ما زالت فتية ريانة توصي الناس وتشير اليهم بان في إمكانهم الاحتفاظ بالشباب وادامة نضرتهم مثلها اذا هم اكثروا من معاشرة الاحداث .

ومن خصائص الاستاذ البارودي انه يقنص الضب فيستطيب لحمه ويعاف - الحمام الزاجل - ويفوته الصيد اللذيذ . ولا عيب فيه الا انه يحب الدخول من - الباب الضيق - وهو محبوب حتى من خصومه السياسيين ، وليس له عدو من بني البشر سوى - الجنس اللطيف - وكثيراً ما يغتفر لفخري بك ما لا يغتفر لسواه .

اقوال الناس فيه

يعدُّه المفكرون في البلد السوري سياسياً اقليميا لان عمله وقوله مستمدان من عواطفه اكثر مما هما مستنبطان من العقل وقواعد العلم . وهو خفيف الروح ، حاضر النكتة حتى في اشد ساعات الخطر .

ومن نوادر فخري بك الحكاية ، اللطيفة الآتية التي نذكرها بمناسبة المقال :

السرقة الحلال

حدثني الاستاذ محمد بك كرد علي قال : جاءني الاستاذ البارودي ذات يوم في ادارة جريدتي المقتبس مستفتيا وكان غلاما يافعا قال : ما قولك يا استاذ اذا سرقت من مال والدي مبلغاً لكي استعين به على طلب العلم في اوربا ، وهل يحسب حلالا علي ام حراما ؟

فافتى له المسؤول ان يأخذ على قدر ما يلزمه بلا زيادة شرط ان لا يضر بابيه ولا يلحق به اذى ، فذهب للحال وتناول المال ثم ابحر قاصداً فرنسا . وبعد وصوله لايام قليلة فتن ببدائع الفن الجميل وروائع ما اخرجته يد الانسان في عصر المدنية والنور . فهاجت نفسه صورُ الحياة فعنّ بباله ان يكتب مقالة يشوق بها بني قومة ويحضهم على ارتياد مناهل

العلم لينالوا مما نال وينظروا بالعين التي هو نظر ، فارسل بها الى جريدة المقتبس ونشرت في حينها فأقبل القوم على قراءتها وكان في جملتهم المصارع الشهير صائب بك العظم نجل العلامة المرحوم عبد القادر بك المؤيد العظم ، فحرك مضمونها خاطره وبلغ من قلبه كل مبلغ . فجاء والده طالبا منه مالاً اسوة بالاستاذ البارودي ليذهب الى اوربا ويتعلم فيها فن الصراع . ولكن والده رد طلبه ، فما كان من هذا الا ان حمل بيديه بغلا ضخما كان في اصطبل رب الدار وصعد به « السلالم » فالقاه في ردهة الاستقبال على الفراش والرياش . وبصر البغل في مرآة معلقة بجدار المنزل فظن في المكان بغالا كثيرة خلافه . فطفق ينهق ويرفس ويضرب برجله ذات اليمين وذات الشمال فذعر اهل الدار وولولت النساء لهول ما رأين . ولم يجرؤ احد على الدنو من البغل المذكور . فاستغاث الجميع بصائب بك وعاهده والده ان يدفع له المال المطلوب ان هو انزل البغل الحرون الى حيث كان . ففعل صائب ونال المال الموعود به وقصد الى اوربا واتقن الصراع فيها حتى ربح بطولة العالم كما ربح مال والده من قبل ، وكان ذلك بفضل مقالة الاستاذ البارودي التي قال فيها عبد القادر بك العظم معاتباً صاحب المقتبس على نشره

اياها بجريدته : انها ما اثرت احداً في دمشق وما اصابت سوى ابنه « صائب » واصابت صندوقه ايضا بجانبٍ مما فيه !...

حياته السياسية

بدأ حياته السياسية يوم كانت النهضة العربية تتمخض في صدور دعاتها الاحرار فانتسب اليهم و كانوا من البارزين. وفي خلال الحرب العامة دخل مدرسة ضباط الاحتياط وتخرج منها برتبة وكيل ضابط والتحق بالجيش التركي وترفع الى رتبة ملازم ثان واستقر في قيادة مقر الفرقة السابعة والعشرين في فلسطين . وعندما استلم عصمت بك ، رئيس الوزارة التركية اليوم ، قيادة هذه الفرقة سافر الى الجبهة الحربية في بئر السبع لانه عربي ، وهناك وقع اسيراً مع عموم فرقته الجديدة فاقتيد الى مصر ومنها التحق بالجيش العربي الذي كان مرابطا في العقبة ، وهناك استلم قيادة شرطة سمو الامير الخاصة وكتابة ، « الشفرة » برتبة ملازم اول . وبعد ان قضى سنة بين العقبة والكورة وابي اللسن ترفع الى رتبة رئيس ثم ارسله سمو الامير الى الهند بمهمة جلب متطوعة . واذ كان في الطريق سقطت دمشق بايدي الحلفاء فعاد الاستاذ اليها . ولما اعتزمت الحكومة العربية تشكيل جيش من المتطوعة كان سعادته اول من تطوع . وبعد ستة اشهر تعين ضابط آمر لسمو

الامير . ولما اعلنت المالكية عين حاجباً لجلالة الملك . وقبيل الاحتلال العربي عين معاونا لمدير الشرطة وبعد الكارثة اعتزل المناصب .

ولما دعي الشعب السوري الى انتخاب الجمعية التأسيسية وانقسمت آراء اعضاء الكتلة الوطنية بين دخول الانتداب وعدم دخوله كان في صف معارضي الدخول، وفي النتيجة نزل على ارادة بقية الاعضاء ورشح نفسه عن دمشق ففاز ؟

فيضي بك الاتاسي

صفاته وخواصه

شاب في ميعة الصبا ، ممتلئ العضل قوة ونشاطاً ، مديد القامة ملتف الاعضاء ، كأنما صب لحمه في قالب صبّاً ، متقن التحكيم بشكل هندسي ، متناسب الأطراف ، متسق القسمات .

من أشرف عوائل حمص ، فاذا غاب عنه أصله دل عليه بذاته . كالشجرة تعرف من ثمرها ، أو كالند يتضوع أريجه وان تلاشى ، بادي النبل في غير تعمُّل ولا تكلف ، إذا رأيته تكاد تحسبه واحداً من أبناء اللوردات أو من أرباب التشريفات في قصور ملوك انكلترا (جنتلمان) بالمعنى الصحيح ، والاناقة طبيعية فيه . بل انها تكاد تكون من المبادئ التي يدين بها ويعمل على تطبيقها في مناحي أعماله جميعها .

رجيح العقل ، واسع المدارك ، يتكلم في كل موضوع كأنه على استعداد له من قبل فيجيد غاية الاجادة . أديب كامل يتحاشى الاخطاء الكتابية في معاملاته الرسمية كافة ويعنى عناية خاصة باسلوبها وانشائها وتعيين مرمى تعابيرها وما

ينتج عنها من عمل عاجلا أو آجلا . فاذا صدرت عنه في مقام البلدية فكأنها مرت على المجمع العلمي ، ويحفظ أشعار العرب قديمها وحديثها .

يميل إلى التجدد في كل مظاهر الحياة ، وإنما نعني بالتجدد الاتقان بما يتناسب مع ظروف المكان والزمان . عمليّ ، يكره أن يرجئ عمل يومه إلى غده ، وربما انجز في يوم واحد ما يعجز سواه عن اتمامه في عشرة أيام ، وهو حركة اصلاحية دائمة ، وعمراني بطبيعته ، يحب أن يرى ما حوله جديداً ضاحكاً .

مزاياه

نزّاع الى الاستقلال الذاتي ، الفردي . فبديهي ان يحبه أكثرَ في الجماعات والشعوب . يكره التدخل في الشؤون السياسية لاعتقاده أنه اذا أتقن عمله ضمن دائرة اختصاصه يكون قد قام بواجبه نحو الأمة والوطن . وعنده أن توزيع الاعمال من لزوميات الحياة وضروروياتها . وهو من هذه الناحية مخلص لمصلحة الحكومة ، ومن ناحية أخرى محب للشعب . ومخلص أيضاً للقائمين بالعمل الوطني لعلمه ان لكل فرد قسطه من الواجب نحو الوطن ، فاذا قام كل في اختصاصه واقتصر عليه ، فهو

الوطني الصادق ، اي اذا زاول الطبيب والمحامي والصانع والتاجر والزارع أعمالهم باخلاص واتقان فانما هي رسالة الوطن التي يؤدون .

رأيه في الاستقلال

وهذه العوامل هي عناصر الاستقلال ، فاذا ما تمشى القوم على هذا المنوال فالاستقلال يسير اليهم طائعاً صاغراً . وان يتاح للشعوب المنتدب عليها أن تنفض عنها هذا الانتداب الا إذا اتحدت أحزابها وجماعاتها كافة . ووحدت ثقافتها واساليب االتعليم فيها . ومتى تم لها ذلك فانها تنال حريتها دون منة عصبة الامم عليها .

آراء الناس فيه

شخصيته تحملك على احترام صاحبها لاول نظرة ، فاذا ما تكلم او تحدث اليك رأيت نفسك مسوقاً إلى احترامه ومحبته والاعجاب بذكائه ، وقوة عارضته ، وسرعة خاطره ، وتوقد ذهنه . وبهذه المزايا يصلح لأن يكون سياسياً لبقاً وهو لو عانى السياسة لكان للبلاد نصيب وافر من نجاحه في هذا المضمار .

وربما حسدت عليه حماه

اختها حمص !...

الاعمال العمرانية

اما آثاره في حمص فاننا نذكر أخصها من باب الالمام بالشيء دون الاحاطة به :

١ – جر المياه : من محلة الجديدة بالمصافي على بعد كيلو مترين وقد بلغت نفقات جرها وتوزيعها ٢٦٠ الف ليرة ·

٢ – تزفيت الشوارع : بلاط بالبون المنحوت بمسافة ثلاثة كيلو مترات ·

٣ – التنوير : مقطوعية ١٨٠٠ كيلوات شهرياً ·

٤ – الاغراس : ٢٥٠٠ شجرة في الطرقات العامة ·

٥ – العمران : بناية الروضة و ست بنايات أخرى في الثكنة العسكرية القديمة ·

٦ – فتح شارع ابن عوف وطوله ٦٠٠ متر · توسيع عدة شوارع داخل المدينة ، فتح شارع جديد من كنيسة السريان حتى الحميدية ، احداث احياء جديدة قرب المحطة ، كرم الشامي ، محلة القرابيس ، بناء فندق كبير باسم « رغدان » بمساعدة الهندسة البلدية ، انشاء حديقة وبحيرة في محلة باب السوق ، واقامة ساعة شمسية في حديقة الروضة ، تنوير الحدائق كافة بالكهرباء ، تعزيز مصلحة الاطفاء والمجارير ، شراء سيارة جديدة للاطفاء واقامة ١٣٦ مأخذ ماء لاجل الاطفائية ،

تجهيز المسلخ البلدي بالمنافخ الكهربائية الحديثة . انشاء مستودع للمواد الملتهبة على الفن الحديث .

وبتألف ملاك البلدية من : أمين السر العام ، محاسب ، امين صندوق ، مهندس اول وثان ، كاتب (٢) طبيب بيطري ، قابلة ، شرطي (٢٠) جابٍ (٦) مراقب تنظيفات (٥) عمال حدائق ، شرطة صحية .

محمد بك الاطه‌لي

رايه السياسي

يرى ان منشأ التطور الاجتماعي ، والباعث على اليقظة القومية في البلاد ، انما يعود الفضل فيها للمشتغلين في الحقل السياسي والادبي معا . فهم وحدهم العامل الفعال في خلق الروح الفكرية التي غمرت السوريين جميعا من دمشق الى حلب وما بينهما .

فطالما تلقت الامة منهم دروسا نافعة في فنون الحماسة ، وقواعد نافعة في كيف تقدر ان تعيش ، لا كيف يجب ان تعيش

الا انهم بكل اسف لم يتقنوا ختام الدرس كما احسنوا بدايته ومهروا به . فكان مثلهم في ذلك كربان سفينة اقلع بها من الشاطىء الامين فضلّ السبيل ، وصادفتها اعاصير البحر هوجاء وتناوحتها الرياح نكباء من كل جانب ؛ فلعبت بها حتى اشرفت على الغرق . فليس ربانها قادرا ان يعود بها الى ميناء السلام ولا يعلم كيف المسير واين المصير ومتى تهتدي

فالسوريون لهم من حال دنياهم احد امرين : إما أن

يكونوا شعباً صالحا بدون زعيم ، او يكون لهم زعيم صالح لا ينقاد الشعب اليه — ففي صباح كل يوم تذبت لنا المصالح الذاتية في البلد الواحد احزابا وشيعا يهدم بعضها ما ابتناه البعض الآخر وبدمر ويبيد . فليس لهذه الاحزاب في غالب الاحيان بيان شريف ومبدأ قويم . بل جلهم طلاب اغراض وذوو امراض يؤيدون اشخاصا ضعف ايمانهم وفسد ضميرهم « وكل ما بني على فاسد فهو فاسد »

ولولا ذلك لكان في الامكان تقرير الموقف السياسي واتجاه الحركة الفكرية نحو وضع محمود مبارك ، بعد ان مرت على البلاد مناسبات وفرص عدة اتيح خلالها للجانب السوري ان يستفيد منها .

صفاته وخواصه

شيخ طوى العقد السادس والتف بالسابع تقريبا . بل هو دار حول الشمس او دارت عليه الشمس ستين مرة مثلها فاكثر . فجاء تاريخا كبيرا في سن كبيرة ، وشأنا جليلا في جسم ضئيل قال في مثله الشاعر :

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

فالاطهلي بك من اولئك الذين يأكلون ليعيشوا لا من الذين يعيشون ليأكلوا .

جبين أضيق من صدور الحمقى · بل اضيق من رزقي انا ومن جيوب اخواني الصعاليك ايضا · تزدحم في مخيلته صور الحياة والوانها ؛ ووجه متفاوت القسمات تصدعت حدوده وتداعت شعابه · فاذا به يلوح للناظر شبه المخطط السوري في الرقعة الجغرافية · قام في وسطه انف عادي صغير تحت عينين كانهما نجمتان تلمعان قليلاً في ليلة غائمة ثم تختفيان · ولحية فيها جلال المشيب وعظة الدهور · ملموم الجانبين دقيق الساقين متناسب الاعضاء فيه سمرة البادية ورقة الحضارة فترى في لسانه لين حديث اهل الاستانة وفي نفسه سجية العرب نجدة ووفاء

ولا عيب فيه الا انه يجيد التركية اكثر من لغة الضاد ونظم الشعر قديما في الاولى من الاثنتين · ثم حصلت جفوة بينه وبين القريض مالت به الى القطيعة والهجران ، ولكنه برغم هذا فانه يشوق الناس الى الشعر ، واذا سألته لماذا تزين لسواك ما زهدت به انت ؟ اجابك قائلاً : ان الشعر كعلم الطب لازم ضروري ففيه رحمة ومنافع للناس ؛ الا ان الطبيب يقضي معظم حياته في انكماش وانقباض · فهيهات ان تقع عينه الا على عليل اشفى ، واذنه لا تنفتح الا للنحيب والبكاء ، وكفه لا تلمس الا عاهات وجراحا · وهذا حال الشاعر من دنياه

همّ وتنكيد ، فحسبه انه يذيب نفسه كالشمعة ليستضيء بنورها سواه . فان هو قرض الشعر فانما يبكيه القصيد وتهزه القافية ويشجيه الروي .

مبادئ السياسية

انتخب نائباً عن مدينة انطاكية للمجلس النيابي وقد برهن انتخابه بالاكثرية الساحقة على ما له من المكانة العالية في نفوس مواطنيه ؛ وعلى ان قائمته مضمون لها الفوز فلا تزاحم بجال من الاحوال في مناطق الانتخاب

ثم أُسندت اليه وزارة الزراعة في الحكومة « العظمية » فاضطلع باعبائها . ولما خلفتها الحكومة « التاجية » الحاضرة استعانت به عَلَى تأليف هيكلها فظل فيها وزيرا وركنا قويا . غير انهم ظلموه بوزارة الاقتصاد . فهو لا يعلم من الاقتصاد شيئا لنفسه ، فبساطه في انطاكية ممدود ، وكفه بالمال في دمشق عَلَى الفقراء تجود

اقوال الناس فيه

شيخ اوفى على الهرم الا انه ما زال فتيّ الروح ؛ وما زال عزم الشباب يجري في عروقه . فلا يستريح الى القعود في منزله استراحة الشيوخ ، وفي مجالس المستهزئين لا يجلس . فكيف يصنع اذن ليرضي نفسه وقد فطر على حب الحياة

المفرحة فاطلع على كافة نواحيها واشكال لذاذاتها الطيبة الجميلة فلا تراه الا مرحا طروبا . فاصطفى له من الاصدقاء اثنين هما الاستاذ العثماني وعارف بك الجزار فالفوا ثلاثة اقانيم في جوهر واحد فرد

واذا حضرك في هذا المقام ان الانسان يبعث حياً ويتشكل بعد الموت فلا يذهب عنك ان المرحوم عزة باشا العابد كذلك تشكل بمحمد بك الاطه لي . ومن خصائصه البارزة انه جمع بين احترام رجال الانتداب ورضا السوريين . وهو الى ذلك كبش قومه عريق في الحسب والوجاهة ، مضياف يقري الوف الطارقين

وقد قال في وصفه زعيم الشمال ابرهيم بك هنانو : انه ذو دهاء وتدبير ، حاذق بتصريف الشؤون السياسية بكل مهارة ولباقة .

محمد بك كرد علي

ألحّ علي الاستاذ محمد بك كرد علي بان لا أتعرض لذكره في هذا الكتاب لاعتزاله السياسة في المدة الأخيرة . ورغبت إجابة طلبه ، وانا طالما تعودت طاعته والنزول على أمره ، لولا علم التاريخ الذي يبحث نتائج الحادثات باسبابها ويعين خواتيم الامور بأوائل الأعمال . فلا تنفك علاقة الغابر بالحاضر . ولكن العصور المتطاولة تبدلها من حال إلى حال حتى تزول رويداً رويداً . فكيف يمكن للانسان أن يبلغ العاشرة سناً ولما يمر على التاسعة وما قبلها من الأعداد ؟ بل كيف يجوز لنا حذف نهار الخميس من أيام الاسبوع حباً بالاختصار ؟

على ان الموضوع الذي نعالج انما يتناول العناصر السياسية والأدبية التي لعبت دوراً في البلاد المشمولة بالانتدب الفرنسي اودلت على نفسها بالعمل الظاهر او دلّ عليها العمل ذاته . والبيان على تأثيرها في تحويل الافكار العامة عن المناهج القويمة والاشارة الى العوامل الباعثة في اليقظة القومية . وليست تلك المصادر سوى الرجال المسندة اليهم الوقائع والمأخوذة عنهم

الحوادث في مواقع المكان والزمان .

فعذراً اليك أيها الاستاذ بهذه المناسبة لا سيما وانت الذي حفظت حرمة التاريخ في الوطن جيلا كاملا كنت فيه على رأس المؤرخين وفي مقدمة الكاتبين .

مسلكه الاجتماعي

قالت العلماء : اثنان لا يشبعان ، طالب علم وطالب مال . والاستاذ الكرد علي طالب الاثنين معاً . بل هو طالب العلم والمال من المهد الى اللحد .

يجيد اللغة العربية تكلما وكتابة كاحد أبنائها ، ويعدُّ علما من أعلام العرب في السياسة والأدب ولكنه كردي في ما عدا ذلك . ينافس الناس بقوميته الكردية ويباهي بها يوم الفخار . واحب الناس اليه جماعة المستشرقين .

رايه في القضية

ثلاثة لا رأي لهم : الحاقد والحاقن والمتقاعد فكيف بمن جمع علتين معاً من هذه الموانع الثلاثة ؟!

ولكن للاستاذ منهجاً خاصا في علم الحياة لعله الفريد من نوعه والوحيد في عصره . وهو التحفظ برأيه والحرص على كتمان ما يشتهي ويروم . فهيهات أن يظهر لجلسائه ما يحب وما يكره . فاذا لاح له الصيد مثلا في حال من الاحوال

وبدرت المصلحة الخاصة فسرعان ما تحول الى المقام ذي الشأن بحديث طريف وحكاية ظريفة نقلها اليه عن لسان الحيوانات يقصد بها الاعراب عن بيانه والنطق بلسانه لما يناسب حاله ويوافق الغاية التي يتوخى

فهو سر مكنون وصندوق مقفل ضاع مفتاحه ولو تكشفت لك محتوياته لوجدت من الأشياء ما هو نفيس ورخيص وما يبهج الخواطر ويقبض الصدور ٠

ويعتقد ان أفضل فرصة مرت على البلاد فاضاعها الجانب السوري هي اتفاق الداماد ـ دي جوفنيل ٠

رايه في المعاهدة

يرى أن ليس ثمة خلاف بين المعاهدتين : العراقية والسورية ٠ فلا تفضل الواحدة أختها بسوى الصيغة وتصريف الكلام ٠ وكلتا الاثنتين اشبه بعصفور جميل حبسه صاحبه في قفص من ذهب وما قضبانه الحديدية إلا المادة القانونية والفقرات الدستورية الواردة نصوصها في العبارة الخلابة ٠

مذهبه السياسي

يكره الاساليب السلبية ويميل الى الخطط السلمية وشعاره في ذلك (خذ وطالب) ٠ فمهما يجد القوي الجبار على الضعيف المغلوب يجب قنصه وانتظام الفرص لقنص خلافه ٠

رأيه في الانتداب

يرى الانتداب الفرنسي افضل الانتدابات الدولية وأشرفها وربما فضله على الاستقلال التام الناجز ·

صفاته وخواصه

يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ، حتى انه ينام باحدى مقلتيه ويفتح الثانية لئلا يمر به مشهد من مشاهد الحياة الدنيا فيفوته النظر اليه · وكثيراً ما تقاضت يمناه اجرة العمل من يسراه ·

ملموم الأطراف ربعة في الرجال ذرّف على الستين مستدير الوجه أبيض اللون مشرب حمرة خفيفة وله عينان ترتجان دوماً من وراء نظارتين حملهما انف اقنى تحته فم ضيق ينطلق الكلام منه انطلاق العيار الناري من بندقية (الموزر) · واذا جالسته وتحدث اليك فانما هو نزهة المجالس فلا تدري أأنت تطوف العالم أم ان العالم يطوف بك · فالارض كلها لديك دارة درهم · والغابر والحاضر قيد باع او ذراع منك ماثلان امامك بدون ان تنقل اليهما قدما او تبرح المكان الذي انت فيه

وابغض الشعوب اليه الترك ويرى مدنيتهم مستمدة من مزاجهم ، ومزاج هؤلاء مبني على القوة الغاشمة

ويزعم ان العنصر التركي ينمو عقله حتى سن الثالثة عشرة وتتوقف مداركه عند هذا الحد الا ما جاء فيهم شذوذا

كما أثبتت ذلك الاكتشافات الطبية في علم تشريح الدماغ ·

حياته السياسية

جاء جدّه دمشق من السليمانية احدى أعمال (كردستان) العراقية ، وكان ذا نعمة وثراء فابتاع حانوت (جسرين) من قرى الشام ونشأ والد الاستاذ على حب الزراعة وصدق العمل والقول · فتسنى له الاختلاط بعلية القوم فأحسن تعليم ولده فخرج الاستاذ الكرد علي اديباً فاضلا عالما ، وولع بالصحافة فحرر جريدة الشام برهة في عهد المغفور له السلطان عبد الحميد ولكن مقالاتها لم تتعرض لسياسة الدولة وبحث شؤونها ·

وانتظم في عداد تلامذة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري فاتهم بالاشتغال مع أحرار الاتراك فاضطر أن يفرّ الى مصر ناجياً بنفسه حيث اشترك في تحرير المؤيد والظاهر اصاحبها المحامي محمد أبو شادي ثم أصدر مجلة المقتبس ·

وعاد إلى دمشق بعد إعلان الدستور العثماني فأصدر جريدة المقتبس وكانت اتحادية في بدء نشأتها ثم انقلبت على الاتحاديين بعد تأسيس حزب الائتلاف فلقيت رواجاً وانتشاراً في الاوساط العثمانية عقيب هذا الانقلاب ·

ولكنه ما عتم اثناء الحرب الكبرى أن عاد الى اتحاديته الصميمة فاشترك في تحرير جريدة الشرق التي أصدرها جمال

باشا وترك لأخيه المرحوم (أبي بسام) تحرير المقتبس. ومما نقم عليه المشتغلون بالقضية العربية تحبيذه قرار ديوان حرب عاليه باعدام شهداء العرب وكان في الامكان ان يتناسوا مجاراته لجمال باشا لولا هذا الموقف. ولحق بالعثمانيين الى الاستانة اثر انسحابهم من البلاد غير أنهم كشروا في وجهه حين فرغوا من احتياجهم اليه فاضطر أن يعود الى دمشق فعهدت اليه الحكومة الفيصلية برئاسة المجمع العلمي وامدت جريدته بالمال فاعاد اصدارها ولكنها أغلقت بسبب دعاية اقليمية كردية بدرت منها. وكان من مؤلفي الحزب الوطني القائل بالانتداب الفرنسي وهذا الذي أوصله الى الوزارة الاولى. وصدرت جريدته بعد الاحتلال مؤيدة الانتداب فلقيت مقاومة عنيفة من الشعب ولما خرج من الوزارة عَلَى الوجه الذي ذكرناه في تاريخ بديع بك المؤيد حملت جريدته لواء المعارضة وثبتت على معارضتها حتى سحب امتيازها في عهد وزارته الثانية للحكومة التاجية فقضى عليها نهائياً.

اقوال الناس فيه

لا يعلم ماذا يريد ولا ما يراد به. ولكنه حاضر (تحت الطلب) لكل وزارة شاغرة او على الاصح لكل وزارة تطلبه بلا قيد ولا شرط

نسيب بك البكري

السادة البكريون اخوة ستة ؛ فهم كايام الاسبوع عداً ما خلا نهار السبت منها !! .. بل كايام العيد طالعا وبهاء، ومثل ازاهير الربيع بهجة وشبابا ، فلا يختلف الاخ عن اخيه الا كاختلاف النهار عن النهار في فصل الصيف قصرا وطولا :



تشابه الاخوة الستة ، خُلقا وخَلقا ، ونفسا وجسما وعلما وثقافة ، فاذا اصيب احدهم بغرم تقاسمه الجميع على السواء ، فمن كانت موازينه راجحة فذلك انعم بالا واسعد حالا من سائر الاخوة بما ساهم فنال من الغنم ! .. وكلهم الا اصغرهم لعب دوراً في الميدان السياسي وكان عاملا فعالا في اليقظة القومية ومحاربا في الثورة الكبرى ، لذلك نكتفي بذكر سعادة نسيب بك

لانه ما زال في قلب الساحة يصول ويجول حتي هذه الساعة

الاتحاد التركي

في عام ١٩٠٨ ثل عرش المغفور له عبد الحميد السلطان العثماني المطلق واعلن الدستور وحكم المملكة العثمانية بالشكل النيابي . فاسس فتيان الترك حزبا تحت اسم — الاتحاد والترقي — غايته تتريك العناصر العربية بالتعليم ، واستبدال السكان بتهجيرهم تباعا عن ديارهم الى الديار التي تسود فيها القومية التركية ، فانزال الاتراك في منازلهم حتى تستترك البلاد غير التركية كافة في الامبراطورية العثمانية ، فتضمحل القوميات وتذوب جميع العناصر غير التركية بهذه الوسائل مع توالي الزمن وتتلاشى

حزب الفتاة

ثار نشاط العنصر العربي لمقاومة فكرة تتريك العرب . فتأسس في باريس حزب سري عرف باسم « حزب الفتاة العربي » ثم انتقل الى دمشق وجعل مركزه الرئيسي فيها

وقد ظهرت ايضا احزاب عربية اخرى في ذلك العهد . احدها حزب الحرية والائتلاف وحزب « العهد العسكري العربي » لها اندية وصحف ودعاة في الاستانة عاصمة العثمانيين

لكن حزب «الفتاة» ظل مواصلا جهوده حتى امتد به

الزمن فلحق ايام النفير العام في الحرب العالمية الكبرى

وفي تلك الساعة الرهيبة والمشانق منصوبة في دمشق كان السادة البكريون يحلفون مشايخ العرب وزعماء الدروز للاخلاص للثورة العربية تحت مراقبة الجواسيس وربما دخل المنضمون اليه في اكثر الاوقات تحت البسة النساء او خلافها خشية البطش بهم.

ولما قدم الامير فيصل الى دمشق على رأس المتطوعة الحجازية حل ضيفا كريما في دار آل البكري فعقد «حزب الفتاة» الذي كان زعيمه عطا الله باشا البكري والد المشار اليه واحد اعضائه النافذين . ثم دخل فيه الامير فيصل واصبح من اعضائه وعقد اول اجتماع في حضور سموه فقرروا القيام بثورة عامة تنقذ البلاد من جور «الاتحاديين» وظلمهم ثم إنشاء دولة عربية كبرى تشمل الحجاز والعراق وسوريا تحت لواء سيادة ساكن الجنان الشريف حسين الذي يكون ملكا للعرب .

وبهذه المناسبة عاد فيصل الى الحجاز وقد رافقه السيد نسيب بك الذي ما لبث ان رجع الى دمشق لكي يخرج منها بالمتطوعة الحجازية متى تلقى من الامير برقية تشعر بموافقة الشريف حسين على الاتفاق المقرر . فيكون «صندوق البرتقال»

رمزاً للنفي و « الفرس الشقراء » رمزاً للاثبات وعلامة لنضوج الثورة واختمارها في النفوس على ان يكون نصها : ارسلوا الفرس الشقراء .

الفرس الشقراء

هذا العنوان جملة تاريخية عزيزة وفاتحة عهد جديد للعرب يجب على كل واحد منهم ان يعلم كيف وضعت ولماذا قيلت وعلى اي شيء ندل ونعني — هي البرقية التي طيرها الامير فيصل من المدينة الى نسيب بك في دمشق انذاراً باعلان الثورة العربية الكبرى

فهب السادة البكريون والمتطوعة الحجازية خفافا متغلغلين في البادية ورمال الصحراء ثلاثة اشهر حتى بلغوا الحجاز في اليوم الثامن من شهر حزيران عام ١٩١٥ فسددت افواه البنادق في تلك البطاح الى صدور الجنود الاتراك واعلن الشريف حسين بن علي امير مكة ثورة الامة العربية على جمعية الاتحاد والترقي .

وكان أمل النصر ضعيفاً للحلفاء وكانت امريكا لم تدخل بعد في جانبهم ، و المانيا كانت على أبواب باريس تهدد سكانها بالفتح والاستيلاء . غير أن السادة البكريين راحوا ضاربين باملاكهم الشاسعة الواسعة ومغامرين بارواحهم في

مبدئهم القومي وعقيدتهم العربية النبيلة ·

نشأة نسيب بك

درس العلوم الابتدائية والثانوية في دمشق ولم يبق له سوى سنة لأخذ شهادة التجهيز فذهب الى بيروت عام ٩١٢ حيث نال شهادة المدرسة السلطانية فيها ثم انخرط مباشرة في حزب الفتاة العربي السياسي · ولما أعلنت الثورة العربية غادر دمشق الى الحجاز واتصل بالامير فيصل ورافقه حتى الساعة الاخيرة التي دخلت فيها جيوش الحلفاء دمشق · وقد كتب الكولونيل لورانس بكتابه «في قلب الصحراء» صفحات مجيدة كلها ثناء واعجاب بالسيد نسيب بك ·

وقبيل احتلال دمشق جهز حملة من جبل الدروز عددها ٥٠٠ فارس كان في طليعتها سلطان باشا الاطرش والقائد العسكري زكي بك الدروبي فهاجمت الاتراك في بصرى اسكي شام واحتلتها ثم دخل دمشق وثبت قدم الحكومة المحلية فيها حتى وصل سمو الامير فيصل اليها فعين مستشاراً خاصاً له ولما بويع ملكا عهد اليه برئاسة ديوانه وكان من محبذي معاهدة فيصل — كلمنصو ·

وان شدة حرصه لتعضيد الملك فيصل فتح باباً لاخصامه فشوهوا سمعته لدى الشعب بحجة أن تعضيده للمعاهدة ليس فيها

معاضدة الملك فقط وانما هنالك اتفاق مع الجانب الفرنسي ولكن قيامه بالثورة السورية كان جوابا منه مفحما لهم على افتراءاتهم الشائنة

وبعد الاحتلال الفرنسي اعتزل السياسة الى أن كانت الثورة السورية فخاض غمارها مع جميع إخوته الا اصغرهم الذي كان طالباً في الجامعة الاميركية في بيروت ·

ولما انتهت الثورة المذكورة توسط جلالة ملك الافغان سابقاً امان الله خان لما كان بين أبيه ووالد السيد نسيب بك من الصداقة والاخاء المتين للعفو عن السادة البكريين لدى الجمهورية الفرنسية فعفي عنهم فعادوا الى دمشق و كان لهم استقبال عظيم جليل ·

صفاته وخواصه

رجل بدين طويل القامة مفتول الساعد سلت الوجه ابيض اللون في مطلع العقد الرابع تحدر من صلب أبي بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فجاء كالماء الزلال في المجرى الطاهر المبارك ·

ومن خصائصه أنه يذوب في حزبيته و كثيراً ما تطغو عواطفه وميوله على إرادته وعلمه كأنه من جماعة الشعراء حالا ومثالا ومن معشر الخياليين وصفا وطبعاً · فتتأثر روحه بالبيئة

كثيراً ، فتعصف به الرياح في ملعب السياسة ومعرض الاجتماع فيميل ذات اليمين وذات اليسار ·

على ان البكري بك لا يرى بأساً بأن يسلك مسالك شتى لكي يبلغ الغاية المنشودة · والدليل على صدق وطنيته انه كان من موآزري جميل بك في وضع المعاهدة · وقد كلفه الموسيو فيبر وزارة الداخلية على أثر اقالة جميل بك ومظهر باشا فرفض قبولها الا على شروط تحقق المطالب الوطنية · والدليل على انه من أركان الوطنيين كون الجانب الفرنسي اتفق على ثلاثة نواب معتدلين و٦ مواطنين كان هو احدهم وفاز بالانتخاب فوزاً باهراً ·

الخلاصة

يعلم القارىء فيما تقدم من الكلام ان نسيبا من اعلام العرب في السياسة والادب ومن المجاهدين في انشاء امبراطورية عربية · فلما تلاشت هذه الاحلام الذهبية وبات تحقيقها مستحيلا عنده رضي بسياسة اقليمية ضيقة النطاق لا تتجاوز البلاد السورية المشمولة بالانتداب الفرنسي على مبادىء الكتلة الوطنية ·

نصوح بك البخاري

روح جبارة في جسم دقيق ناحل ينوء بمطامحها الجسام



كأنما هو المقصود بقول الشاعر :

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الأجسام

جندي بكل ما في هذه الكلمة من قوة المعنى وسمو المرمى وهو الى ذلك رقيق الطبع لطيف المعشر لين الجانب ٠

مزاياه

من أظهر صفاته الحزم ، وصدق العزم في القول والعمل ؛ وطني مخلص صادق الخدمة ، عفيف نزيه ، طيب الأحدوثة لم يعرف عنه انه تردد مرة حيث الاقدام واجب ٠ وهو لا يعمل إلا عن اقتناع وجداني راسخ وهذا ما يجعله سريع الجزم في ما يقدم عليه ٠

حياته العملية

نشأ نشأة عسكرية وتقلب في أعلى مراتب الجيش في

العهود الثلاثة : العثماني والفيصلي والانتدابي · وله مواقع مشهورة وانتصارات باهرة · وهو من الذين يؤتم برأيهم في الفنون الحربية نظراً لاشغاله مركزا عاليا في ديوان أركان الحرب في الجيشين العثماني والفيصلي · وقد عـين في العهد الانتدابي مديراً عاما للمعارف ثم وزيراً للمعارف في حكومة الداماد احمد نامي بك · فتجلى نبوغه في ميدان الادب تجليه في ميدان الحرب ·

لونه السياسي

لا ينتمي الى حزب سياسي معروف · على أنه يميل الى المواقف الايجابية أكثر من السلبية لاعتبارات لها أهميتها · وهو انما يأتم بالعقل لا بالعاطفة ويركن الى العمليات لا الى النظريات ·

الا ان موقفه هذا زاد محبة زملائه الضباط له ، فالتفوا من حوله وايدوه شخصياً كأنما هو مبدأ في حد ذاته · وللضباط القدماء مكانتهم الاجتماعية في البلد السوري باعتبارهم مجتمعين لا منفردين · وهم يؤلفون في حال اجتماعهم كتلة قوية متراصة بفضل تأثير تربيتهم العسكرية التي من أبرز آثارها الصدق والصراحة والاسترشاد برأي الرؤساء والسير إلى الهدف دون مواربة او اختلاج · وما احوج المشتغلين في القضية

الوطنية الى الاعتصام بهذه المبادئ القيمة بالوصول بهم الى الهدف الأسمى .

قلنا ان البخاري بك عسكري قلبا وقالبا فكان طبيعياً والحالة هذه أن يكون عدواً للسياسة لما تتطلبه هذه الأخيرة من طرائق تتنافى وصراحة الروح الجندية .

لذلك نراه لا يسعى الى الأهداف الا من أحد بابين : الحرب أو السلم لا يعرف بينهما وسطا . ولا يرمي الى ولوج الامور من غير أبوابها . ومثل هؤلاء الرجال يتاح لهم نفع أوطانهم واستثمار مواهبهم في بلاد تتمتع باستقلالها وتتصرف بمقدراتها

رأيه في القضية السورية

يرى أن القضية الوطنية لم تزل في بدء نشأتها ولو أن المشتغلين بها أحسنوا السير لكانوا اجتازوا بها مراحل مديدة ووصلوا بالبلاد الى حياة سعيدة ، سواء بتعاونهم مع الفرنسيين - ام بهم وبدونهم - . وهو يحبذ معاهدة فيصل - كلمنصو التي لم تمنح السلطة المنتدبة سوى حق الاستشارة الفنية دون أن يمس ذلك جوهر الاستقلال والسيادة القومية . وهو يفضل الانتداب على المعاهدة لفقدان التكافوء بين الجانبين السوري والفرنسي ولا يرى نفعاً يرجى من معاهدة لا يعقدها الند مع الند .

ويفضل الانتداب الفرنسي على سواه

رأيه في الوحدة

اعادة الاقضية الاربعة ولوائي طرابلس وصيدا الى سورية ويشجب الوحدة مع لبنان ما دام الانتداب قائما لان تقرب اللبنانيين من الفرنسيين يفسح لهم المجال للتدخل في شؤون البلاد من جليل ودقيق بحيث نصبح تحت انتدابين بدلا من واحد ·

اعماله العمرانية

وهو الآن على راس مشروع عمراني كبير : الشركة الزراعية لاراضي البطيحة · وفي رأيه — ككثير من مفكري الامة — ان خدمة الوطن عن طريق العمل العمراني اجدى وانفع من خدمتها عن الطريق السياسية الكثيرة العثار والتشفيات · وهو يعمل الان في جو هادىء مشبع بروح النظام والعمل والتفكير ·

خلاصة

التضحية على ثلاثة انواع : تضحية مال ، وتضحية دم، وتضحية مجد وشهرة · وفي نظرنا ان البخاري بك انما ضحى باعز ما يضحي به وطني في سبيل بلاده · لقد ضحى بما كان يمكنه ان يناله من شهرة ومجد وآثر العمل تحت ستار الهدوء والسكينة · تاركا للاجيال القادمة ان تحكم على اعماله ومآتيه ·

نور الدين بك قدارة

نشأته

هو ابن كامل بك قداره . تحدَّر من اسرة عريقة في الشرف والحسب في طرابلس الغرب .



تفتحت عيناه على النور في دمشق وتلقى علومه الابتدائية والثانوية في معاهدها . وبعد اتمام دراسته التحق بالمعهد الحقوقي العربي ونال منه شهادة من الدرجة الاولى وكان خلال سني الدراسة الثلاث موضع اعجاب وتقدير اساتذته الافاضل .

حياته العملية

اشتغل في المحاماة ولم يلبث ان لمع اسمه بين كبار الحقوقيين رغم حداثة سنه وقرب عهده بالمحاماة ثم انتدبته وزارة الزراعة في الحكومة السورية الى القيام بوظيفة قاضي عقاري في لجان متعددة فقام بما انتدب اليه خير قيام وبرهن على كفاءة نادرة ونشاط منقطع النظير حتى بات مضرب المثل في النزاهة والاقتدار والحنكة . وعند اجراء الفحص المسلكي

للقضاء السوري كان في عداد الداخلين في الامتحان فنجح نجاحا باهراً حمل وزارة العدلية على ان تسند اليه وظيفة حاكم صلح لواء اسكندرونة مباشرة وقد اظهر في مركزه الجديد دلائل جديدة على نشاطه الفائق وسعة اطلاعه وغزارة علمه وبانت الاحكام التي يصدرها موضع اعجاب واكبار رجال العدل ومحكمة التمييز العليا ·

وعلى اثر التصنيف القضائي الاخير عهد اليه القيام بمهمة دائرة الاستنطاق في اللواء المذكور نظراً لما تتطلبه هذه الوظيفة من بعد نظر وسعة اطلاع وهو ما يزال قائما بمهامها بكل جدارة حتى اليوم ·

وقد ابت وزارة العدل الا ان تؤكد له اعجابها بمزاياه واقتداره فوجهت اليه كتبا عدة تتضمن الثناء نخص منها بالذكر كتابها المؤرخ في ٣ ـ ٦ ـ ٩٣٣ رقم ٥٢٨٧ كما ان ممثلي السلطة المنتدبة والحكومة المركزية اظهروا قدرهم علمه واقتداره في كل مناسبة ·

ميزاته وخصائصه

من ابرز ميزاته حب الدرس والتنقيب في مختلف الكتب الحقوقية والتشريعية والاجتماعية والعلوم بوجه عام · وقد بوأته سعة اطلاعه وتبحره في هذه الشؤون مركزاً يحسد عليه

بين رجال القانون بحيث غدا مرجعاً يلجأ اليه في المشكلات القضائية ومضرب المثل في سداد الرأي والنزاهة والانصاف .

اسرته

آل قداره من اشهر عيال طرابلس الغرب وأعرقها نسباً . وقد تقلد والد نور الدين بك وظائف كبيرة في الجيش العثماني وكان حاجبا خاصا للسلطان عبد الحميد كما ان عميه منصور باشا وعلي باشا كانا عضوين في مجلس الاعيان العثماني . وقد توطن والده دمشق وولد له فيها اربعة اولاد ذكور : نور الدين بك واخوته منصور ومصطفى وخير الدين بك . وكبيرهم الآن مدير البنك العربي في عمان ، والثاني أنهى الحقوق في المعهد العربي بدمشق ، والاخير منهم في قسم البكالوريا .

هاشم بك الاتاسي

خواصه وصفاته

كان في قديم الزمان ، لبني اسرائيل شيء اسمه — تابوت العهد — توضع فيه عصا موسى ، والالواح المخطوطان واثواب الكهنة : فيحملونه في محارباتهم ويمشون وراءه فيحرزون النصر الذي وعد به الرب شعبه على الاعداء ويظفرون بهم ·

والرئيس الجليل هو تابوت العهد المقدس — من هيئة العصبة الوطنية يحضرونه جلساتهم فيهتدون الى خير الامور ويأتمون به : كأنه علم في رأسه نار ·

فلا يجهد نفسه بان يتكلم او يكتب ، وانما على الجماعة تسطير البيانات ، واذاعة البلاغات الصادرة عن مكتب الكتلة تحت توقيعه بعد عرضها عليه واخذ موافقته والتصديق منه ·

وفي المجالس والمؤتمرات التي يحضرها يسود النظام ، ويلقي عليها مطارف الابهة والجلال فيزيد المقام رونقا وكمالا ، ولعل احسن صفاته واشرف خصائصه : انك اذا اغضبته فلا يغضب : واما السائل فلا ينهر واما اليتيم فلا يقهر ·

شيخ وقور ، مهيب الشكل ، رضي الخلق ·

نسبه

هو سليل بيت المجد والشرف والعريق في القدم ، ابن المرحوم خالد افندي الاتاسي مفتي حمص واحد علمائها الافاضل

حياته السياسية

رئيس المؤتمر السوري ورئيس الوزارة في العهد الفيصلي ورئيس الجمعية التأسيسية ورئيس الكتلة الوطنية في الوقت الحاضر .

في عام ١٨٩٤ عين ماموراً بمعية والي بيروت وفي عام ١٨٩٧ سمي قائمقاما . وفي عام ٩٠٧ سمي متصرفا . وفي عام ٩١٩ انتخب عضواً عن مدينته حمص الى المؤتمر السوري في الحكومة العربية للاعراب عن رغائب الامة وسن دستور لها ورفع مطالبها الى لجنة الاستفتاء الاميركية .

وفي عام ١٩٢٠ انتخب رئيسا للمجلس المشار اليه خلفاً عن رئيسه في الدورة الاولى فوزي باشا العظم الذي كان قد انتقل الى جوار ربه .

وفي ٨ آذار من تلك السنة أعلن استقلال سوريا ؛ ونودي بالامير فيصل ملكاً عليها ، فاستقالت وزارة رضا باشا الركابي ، وتشكلت الوزارة الاتاسية وعرفت بالتاريخ السوري (بوزارة الدفاع)

ثم سقطت بعد ان تم دخول الجيش الفرنسي دمشق فانحاه.

وفي عام ١٩٢٦ دعا فخامة المفوض السامي المسيو ده جوفنيل السوريين الى اجراء انتخابات، وجدها المفكرون غير ضامنة للمطالب القومية، فقام الرئيس الاتاسي بمقاطعتها، فاعتقل الى جزيرة ارواد، ولكن لم يطل امد هذا الاعتقال، بل اعيدت حريته اليه في اواسط شهر آذار من تلك السنة ثم عاد الى جهاده السلمي على راس الكتلة الوطنية ولما يزل.

رايه في القضية والانتداب

يرى القضية الوطنية سائرة في اتجاه حسن، ولا عبرة اذا فاتت النتيجة العاجلة فلابد للبلاد ان تدرك النتيجة الآجلة وتنال ثمارها الشهية، فيقظة الامم والشعوب تتطلب الاستمرار في الجهاد، حتى اذا قضى القائمون بها جاء من بعدهم من ينسج على منوالهم، ويسير على غرارهم حتي يبلغ البنيان يوما تمامه. فكما زرع الاوائل فاكلنا يجب ان نزرع نحن ايضا ليا كل المتأخرون عنا. ويميل الى الانتداب الاميركي اذا فاته الاستقلال بدليل تأييده لجنة الاستفتاء في وزارته الاتاسية.

مذهبه الحاضر

عنصر من عناصر المعارضة. ولكن بالوسائل السلمية، فلا يرى فائدة من المشاريع الاقتصادية التي عزمت الحكومة

الحاضرة على انشائها ما دام الاستقرار السياسي مفقوداً ، ومصير البلاد مجهولا لدى المتمولين الذين يعدون ركنا عظيما في الانتاج وانماء الثروات العامة .

اقوال الناس فيه

شهد له اخصامه بانه عنوان الكرامة والانسانية ، وضميره انقى من ثلج الجبال ، وكفه اطهر من ماء السماء ، ولسانه ما تحدث مرة بالباطل ، وقلبه بغير ذكر الله ومصلحة الوطن ما شغل ! ... والفضل ما شهدت به الاعداء .

هنري بك هندية

مقامه الرسمي

وزير له عزم الشباب وحكمة الشيوخ ، وهو الى جانب زميله وزير التجارة والزراعة محمد بك الاطه لي في مجلس الوزراء ، كآية الليل والنهار . وفي مثل آخر ، كدار الدنيا والاخرة ؛ وكأنك إذا نظرت متلفتا الى الأول تقول : اعمل لدنياك كأنك نعيش أبداً . واذا بصرت في الثاني وعظتك الحكمة القائلة : اعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

مقامه الاجتماعي

كان تاجراً معتبراً وعنصراً ماليًا في البلاد السورية وعضواً في المجالس الادارية لكبريات الشركات الاقتصادية والمؤسسات المالية في العالم الأوروبي . عرك الحياة الدنيا فتمرس بنواحيها الاجتماعية بسفرات عديدة جاب خلالها عواصم الغرب وامهات المدن العظيمة فيه . فافادته التجارب علماً ونضوجا بعامل الاختبار والمشاهدات حتى تمكنت قدمه ورسخت في عالم الاقتصاد ايما رسوخ وساعده على ادراك الحقائق في رحلاته اتقانه خمس لغات حية تكلما وكتابة .

وهو إلى ذلك يتمتع بثقة غالية لدى رجال الانتداب برهن عليها يوم عودته من فرنسا حين أنقذ الخزينة السورية من ازمة خانقة في شهري نيسان وايار سنة ١٩٣٤ بالمساعدات المالية التي تناولها من المفوضية العليا من دون فائدة على الاطلاق .

وقد خفف الضرائب عن عاتق المكلف السوري في هذه الظروف الحرجة في حين ان الدولة في حاجة ماسة لسد النفقات ألتي كانت تزداد يومياً من جراء الديون القديمة وتضخم الضمانات التقاعدية فمع احترامه لهذه الحقوق المكتسبة لاصحابها وسد النفقات العادية الضرورية تمكن أيضاً بفضل حكمته والثقة الحائز عليها من قبل الشعب والحكومة المنتدبة معاً من خلق موازنة سماها «غير اعتيادية» تكفل مشاريع اقتصادية للري والعمران تكون غير خاضعة للتوازن مع نفقات الحكومة بالاجماع وتغذى موازنة هذه المشاريع الخصوصية من أموال خصوصية توفق بايجادها من المفوضية بطريق السلفة من حصة سوريا في المصالح المشتركة، وفي جملة هذه المشاريع النافعة مشروع الري، العرض، مملحة الجبول، اسالة المياه، مدرسة تجهيز دمشق، تكميل نزل بلودان، وجميع هذه من أموال المصالح المشتركة الداخلة في ضمن الموازنة المستقلة اي غير العادية حتى يكون عمران البلاد زراعة

وعمرانا وانعاشه لا يتوقف لتعلل النفقات وكيفية الواردات الاعتيادية . ولا شك ان هذه الفكرة وخلق الموازنة غير الاعتيادية هي الاولى من نوعها في هذه البلاد على أنها اصلح ما يكون لطريق الانقاذ والنجاة من الازمة الخانقة واعانة ابناء الوطن الزارع منهم والتاجر ومختلف الطبقات .

ولا شك أن الموازنة السورية لعام ١٩٣٥ تعالج الان على الاصول الحديثة بفضل الأفكار الجديدة فتناوات مصالحها يد الاصلاح حتى ان معظم الدول الاوربية الراقية تفكر بالسير عَلَى هذه الاساليب المفيدة .

رابعا السياسي

يرى الاشتغال بالامور الاقتصادية عاملاً فعالاً لحل المسألة السياسية . فان الهدف السياسي يستلزم السير في طريق المراحل . بل ان المشاريع الاقتصادية بنسبة الدروس الابتدائية او المواد الأولية للمباني السياسية ومقدمة صالحة لها . وهي من ذلك كالمحراث الجيد بكف الزارع النشيط يشق به سطح الارض ليدفن في بطنها انواع البقول والاغراس ثم تحيا تلك البذور تحت التراب وتتفتح اكمام الاشجار لتتقبل قطرات الندى في كؤوس الازاهير فتنمو مملوءة حياة وبهجة . ودليله على ذلك ان العراق ومصر ما حسن لهما حال سياسي قبل ان تدرجا في سياسة

المراحل علَى الاساليب الاقتصادية ٠

رايه في السلبية

وهنديه بك ايجابي تجاه كل حل عادل يحفظ حقوق البلاد ويصون الكرامة القومية وسيادتها ٠ ويكون ثمن ايجابيته نيابة او وزارة او مصلحة خاصة ٠ فالمصلحة العامة يجب ان تتقدم كل مصلحة ٠ وفيما عدا ذلك فهو في الصف المعارض والموقف السلبي ٠

رايه في الانتداب

ان الانتداب الفرنسي في نظر الوزير المشار اليه افضل الانتدابات الدولية واشرفها مادام لا بد من فرض انتداب على هذه البلاد ٠ ويعتقد أن ليس في وسعنا ان نعيش منفردين عن سائر الامم بدون عقود تحترم فيها الحقوق والمصالح المتقابلة ٠

ويفضل الدولة الفرنسية بالنظر لما عرفت به من الاخذ بناصرة الانسانية والمحافظة على حقوق الشعوب الضعيفة حتى يتدرجوا في طريق الاستقلال ٠

رايه في الفرص

وهنديه بك لا يرى فرصة مرت على البلاد فاضاعها الجانب السوري ، على أن اضاعة الفرص بالمعنى الحقيقي هو ما يفهم منه اننا تأخرنا حيث تقدم الفرنسيون منا بالمنة والعطاء

فرفضنا او تقدمنا اليهم حيث تأخروا هم عنـا بقبول الحلول التي تسير رويدا رويدا بناموس طبيعي حتى تثبت الثقة المتبادلة بين الاثنين فيستمر الحال على اتم وضع وابدع مثال .

صفاته وخواصه

ربعة بين الرجال في العقد الثالث من سنيـه ، صبيح الوجه مستطيل . ضاحك القسمات طلق المحيا . ادعج العينين فيه حور . ناعم الحديث . ناعم اللسـان . عف الضمير . شريف النفس . درج من بيت عريق في المجد والنبل بحلب الشهباء في غمرة النعم وبحبوبة الثراء . ولكثرة ما تقلب في انواع الذهب مازجت لون وجهه الابيض صفرة النضار الساحرة ولفرط ما قلبت انامله النقود عدا وحسبا نعمت ولانت !!

اقوال الناس فيه

ليس الوزير الذي يأتيك مؤتزرا

مثل الوزير الذي يأتيك عريانا

وقيل فيه : ان الشر ما قرع بابه مرة واحـدة ولا طرح في سبيله شباكه . فان الوزير في حرز حريز منه . فما تطلب حطام الدنيا ولا التمس متاعها ورغب بشهرة بين الناس . فانه في غمرة واسعة من مال ونشب ومجد وحسب . عقدت عليه راية الانتخاب ففاز بالنيابة حتى اتته الوزارة بعدها منقادة اليه تجرر اذيالها !!..

يوسف بك الحكيم

اذا ذكر يوسف بك الحكيم تمثل امامك الصدق والنزاهة والاخلاص والمقدرة القانونية وقوة الحجة مع لطف وتواضع لا يفارقانه سواء كان في اهم مناصب الحكومة او بدونها . وقد بدأت حياته العملية في سلك القضاء . فتسلسل فيه حتى اصبح رئيسا اول لمحكمة التمييز السورية كما انه اشغل اهم المناصب الادارية والسياسية ، فكان مديراً للمخابرات في حكومة جبل لبنان المستقلة قبل الحرب وكان نائب رئيس المؤتمر السوري الذي اعلن ملكية المغفور له فيصل على سورية وكان وزيراً في عهد جلالته في ثلاث وزارات ، ووزيراً للعدل في عهد سمو الداماد احمد نامي بك ثلاث مرات ايضا . ومن ابرز مباديه انتصاره للحق ايان كان واخلاصه لزملائه ولرؤسائه اخلاصا صحيحا يضحي في سبيله منصبه الحكومي . فقد انتصر حين كان نائبا عاما في طرابلس الفيحاء قبل الحرب للفلاحين وللزارعين الذين كانت الحكومة وقتئذ تكرههم على التزام الاعشار وتحمل الخسار . وحصل بسبب ذلك بينه وبين متصرف طرابلس جدال وخلاف

استدعى ارسال لجنة تحقيق من العاصمة الاستانة ، قامت بوظيفتها في غياب يوسف بك و كانت نتيجة عملها عودته الى مركزه وعزل المتصرف . وقد جرى له حين عودتـه من بيروت الى طرابلس استقبال قل نظيره وصفته جريدة الحقيقة البيروتية التي كان يصدرها العلامة المرحوم الشيخ أحمد عباس بقولها : لو جاء شريف مكة لما استقبلة المسلمون كاستقبالهم ليوسف بك الحكيم المسيحي .

وقد انتصر ابان الحرب للبنانيين ونظامهم المعروف ودافع عن غبطة البطريرك الماروني مار الياس الحويك حين طلب برقياً للمجلس العرفي في عاليه دفاعا اقنع ولاة الامر العسكريين بصرف النظر عن جلب المشار اليه للديوان العسكري كما انه دافع عن رئيسه اوهانس باشا حاكم لبنان العام الارمني الجنس دفاعا قضى بتضحية منصبه العالي في سبيل سلامة رئيسه . وليس في دمشق من لا يذكر مواقفه في المؤتمر السوري حين كانت تنتدبه الوزارة للدفاع عنها . وقد وصفت جريدة « الف باء » احد مواقفه الدفاعية بقولها : ان نقمة المؤتمر السوري على الوزارة لاسقاطها قد انقلب الى عتاب« الاحباب » على اثر دفاع وزير الاشغال العامة والزراعة يوسف بك الحكيم

ومن ادل اخلاصه للقضية السورية العربية انسحابه مع

بعض زملائه الوزراء وعلى راسهم الرئيس الجليل هاشم بك الاتاسي الى الكسوة بامر جلالة الملك فيصل على اثر موقعة ميسلون المشؤومة . فكان هو المسيحي الوحيد في الكسوة الذي حمل صليبه وتبع مليكه . وكان في مقدمة الذين اشاروا على الملك بمتابعة القضية السورية بالطرق السياسية بدلا من اتباع الخطط الحربية . وكانا يذكر موقفه الشريف الجريء في عهد سمو الداماد وسعيه الحثيث لتنفيذ برنامج دي جوفنيل – الداماد . وفي مقدمته الوحدة السورية . ولا ننكر عليه وعلى زملائه الكرام موقفهم المشرف حين بدأ المسيو موغرا بمفاوضة الزعيمين الوطنيين الاتاسي وهنانو عام ١٩٢٨ لحل القضية الوطنية . فقد دعا على الاثر زملاءه وعرض عليهم الموقف فاجمعت كلمتهم على الاستقالة . وضحوا بمراكزهم الوزارية في سبيل تسهيل المفاوضات وتنفيذ البرنامج ولو كان عن يد خلافهم ولا يزال الحكيم بك محافظا على ولائه لسمو الداماد ومعجباً بنبالة قصده . لذلك رأينا الحكيم في الوظيفة وبدونها موضع محبة الشعب وثقته واحترامه :

رايه السياسي

قبل ان نوضح رايه السياسي لا بد لنا من الاعتراف بان الحكيم بك نظراً لاخلاقه المعروفة اقرب الى القضاء منه

الى السياسة . وهو مع ذلك يرى استقلال البلاد امراً لا بد منه توصلاً لسعادتها المادية والمعنوية . ولكنه بعيد عن فكرة الثورة العملية . ويرى اقوم السبل لوصول البلاد الى حقها اتفاق كلمة الشعب او بالحري المتنورين منه ومواصلة السعي بالطرق الحكيمة ألتي تكسب الشعب السوري عطف الامم الاوربية وثقتها .

رأيه في المعاهدة

لقد صرح معالي الحكيم بك في مناسبات كثيرة ان خير معاهدة قد عرضت على البلاد السورية هي معاهدة فيصل = كلمنصو ، ومن بعدها معاهدة دي جوفنيل – الداماد . ويأسف لضياع الفرصتين الثمينتين بدون تنفيذ احدهما ولكنه مع ذلك يفضل في كل وقت عقد معاهدة شريفة واستقرار البلاد على حالة راهنة على بقائها بدون اطراد من الوجهة السياسية والادارية .

رأيه الاجتماعي

يري ان البلاد قد تطورت بعد الحرب العامة تطوراً يذكر بالشكر في حياتها العلمية والاجتماعية والسياسية ولكنه يراها لم تزل فاقدة التنظيم في حياتها السياسية والعملية في سائر الوجوه . فهي بحاجة الى تنظيم يوحد الفكرة السياسية

ويمين طرق الوصول الى الهدف الاعلى، والامة في اشد الحاجة الى ذلك طالما نطالبت استقلالا وتخلصا من الانتداب ·

وقد سمعناه مراراً يذكر تقدم الصحافة في سورية ولبنان تقدما محسوسا لا يشوبه سوى ضعف الرابطة بين الصحافة والشعب ·

رأيه في الحكومة

يرى ان الحكومات في عهد الانتداب هي في الحقيقة حكومات ادارية لا صبغة سياسية عليها بالرغم عن الباسهم اياها الشكل السياسي · فلا تستطيع حكومة تحت الانتداب ان تقوم باي عمل سياسي · ويجدر بالحكومات ان تنصرف الى تحسين الادارة وتأمين العدل وترويج المشروعات الوطنية وتخفيف الضيق عن الشعب وذلك ريثما ينتهي عهد الانتداب وتعقد المعاهدة وتقوم حكومة دستورية تستمد سلطتها من الشعب ·

اقوال الناس فيه

نصير المظلومين · لا يخشى في الحق لومة لائم مهما يكن عظيما · نزيه بكل ما في الكلمة من معنى · متواضع مع اباء وعزة نفس · وطني بدون أن ينتسب الى حزب من الاحزاب · يحترم الفضيلة أيان وجدت · لا يسيء لاحد ولكنه يغضب اذا اسيء اليه ·

لم يسمع عن حياته الخصوصية والسياسية اي انتقاد سوى ما أخذه به فريق من رجال الكتلة الوطنية لعدم استقالته من الوزارة في عهد الداماد حين استقال ثلاثة وزراء من زملائه ·
والواقع أنه لم يكن مرتبطا بالمستقيلين ولا منتسباً الى حزبهم ولم يستشيروه حين قدموا استقالتهم · بينما كان بعيداً عن دمشق يسعى لتحقيق الوحدة السورية في اسكندرون وبلاد العلويين ·
وقد احتج حين عودته الى دمشق على نفي الوزراء احتجاجا اوجب نقمة بعض رجال السياسة الاجانب عليه نقمة تجلت في اخراجه من رئاسة التمييز بعد استقالته من الوزارة بزمن يسير ·

وهو صادق الوطنية بدليل المحبة والاحترام اللذين يكنهما له معظم رجال الوطنية وزعمائها الافاضل ·